رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الجانب الدعوي في

رحلة ابن فضلان

إلى بلاد البلغار

عام ٣٠٩ هـ

إعداد
د. علي بن أحمد الأحمد

دار التوحيد للنشر

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الجانب الدعوي في رحلة ابن فضلان إلى بلاد البلغار

عام ٣٠٩ هـ

إعداد
د. علي بن أحمد الأحمد

دار التوحيد للنشر

ح علي احمد الأحمد ، ١٤٣٣ هـ.

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الأحمد ، علي احمد

الجانب الدعوي في رحلة ابن فضلان إلى بلاد البلغار عام ٣٠٩ هـ .

علي أحمد الأحمد ـ الرياض، ١٤٣٣هـ.

٩٦ ص ، ١٧ X ٢٤سم

ردمك : ٠ ـ ٩٤٠٨ ـ ٠٠ ـ ٦٠٣ ـ ٩٧٨

١ ـ ابن فضلان ، أحمد بن فضلان ، ت نحو ٣٠٩ هـ ٢ ـ الرحلات

٣ ـ بلغاريا ـ وصف ورحلات أ . العنـوان

ديوي ٤, ٩١٠ ١٤٣٣/٢١٠٧

رقم الإيداع : ١٤٣٣/٢١٠٧

ردمك : ٠ ـ ٩٤٠٨ ـ ٠٠ ـ ٦٠٣ ـ ٩٧٨

كل الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م

دار التوحيد للنشر

المملكة العربية السعودية ـ الرياض

تليفون : ٢٦٧٨٨٧٨ ١ ٩٦٦+ فاكس : ٤٢٨٠٤٠٤ ١ ٩٦٦+

darattawheed@yahoo.com

بسم الله الرحمن الرحيم

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أما بعد:

فمن المعلوم أن المسلمين تجاراً وعلماء ورحالة ـ منذ شروق شمس الإسلام ـ كانت لهم اهتمامات متنوعة، ربما تطلب بعضها قيامهم بالرحلة إلى بلاد مختلفة في أرض الله الواسعة.

وقد سجّل التاريخ لنا عدداً من تلك الرحلات التي تضمنت جوانب دعوية مباشرة وغير مباشرة قدم فيها الرحالة المسلمون الدعوة إلى الله بالحكمة، وكان لذلك أثره الكبير في نشر الإسلام في الأرجاء.

ومن بين تلك الرحلات رحلة تمت قبل أكثر من ألف ومائة سنة تقريباً قام بها رحالة داعية إلى بلاد طَرُوح لقصد الدعوة إلى الله تعالى، اشتملت على مواقف مهمة وأحداث جمة.. تلك هي رحلة أحمد بن فضلان رَحِمَهُ اللَّهُ إلى بلاد البلغار سنة ٣٠٩هـ.

وهي دراسة تفتح نافذة نشرف من خلالها على جوانب الدعوة لتلك الرحلة، وفيما يلي إيضاح حول هذه الدراسة:

أولاً: أهمية موضوع الدراسة:

يمكن إبراز أهمية هذا الموضوع من خلال الأمور الآتية:

أولاً: التميز الذي حظيت به هذه الرحلة باعتبار أن منطلقها الأساس هو الدعوة إلى الله تعالى.

ثانياً: البعد الزمني للرحلة فقد كانت عام ٣٠٩هـ، وهي بذلك أول رحلة تستهدف بلاد البلغار لأجل الدعوة إلى الله تعالى.

ثالثاً: البعد المكاني للرحلة إذ تقع بلاد البلغار في عمق بلاد الكفر آنذاك وهي حديثاً جمهورية تتارستان إحدى دول روسيا الاتحادية وكان الوصول إليها يستلزم المرور على بلاد وشعوب مختلفة، ورحلة كهذه بلا ريب كانت محفوفة بالمخاطر وتتسم بأنها ذات طبيعة صعبة.

رابعاً: أن توثيق الرحلة ـ موضوع الدراسة ـ بتدوين أحمد بن فضلان نفسه وهو ما يعطي أهمية لهذا النوع من الدراسات حيث يتيح ذلك للباحثين مزيداً من الاستنتاج والتحليل.

ثانياً: أسباب الاختيار:

أسباب عدة قادت لاختيار هذه الرحلة موضوعاً للدراسة واقتصر على ذكر أربعة منها وهي:

١ ـ ندرة الإشارة إلى هذه الرحلة في مصنفات التاريخ الإسلامي عامة وتاريخ الدعوة خاصة، ومرد ذلك إلى غياب مدونة الرحلة ـ التي تعد مورداً للدراسة ـ حيث لم تظهر للنور في العالم الإسلامي إلا في عام ١٩٥١م وسيأتي بيان ذلك.

٢ ـ كون مدونة الرحلة تعد أقدم توثيق علمي لرحلة داعية مسلم على الإطلاق فيما أعلم[١] وهي بهذا الاعتبار مصدر رئيس يكشف بدايات انتشار الإسلام ومداه في بلاد البلغار.

---

(١) يقول د. علي إبراهيم كردي: «أمّا الرحلات المدوّنة فأقدمها ـ فيما نعلم ـ رحلة ابن فضلان التي قام بها سنة (٣٠٩ هـ) إلى بلاد البلغار.. بغية تعليم سكّان تلك البلاد مبادئ الدين الإسلامي، وقد دوّن ابن فضلان وصفاً لمشاهداته في تلك الرحلة، وكانت بذلك أول رحلة مكتوبة انتهت إلينا كاملة».

٣ - تنامي اهتمام الغرب والروس بهذه الرحلة لما تضمنته من دلائل وحقائق عن عادات شعوبهم وطقوسهم الدينية في زمن مبكر عزّ وجودها في مصادر أخرى، والمسلمون أولى بالاهتمام بالرحلة وصاحبها[1].

٤ - الرغبة في إبراز قدوات للدعاة المعاصرين من رجالات الأمة في مجالات الدعوة، ومنها ما نحن بصدده، لتنبعث الهمم وتُوقَظ العزائم للقيام بالدعوة إلى الله في الأقطار.

ثالثاً: أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق أمرين:

١ - تجلية جوانب الدعوة - لهذه الرحلة - فيما له صلة بالداعية والمدعو وموضوعات الدعوة والوسائل والأساليب المتخذة في إطار الدعوة.

٢ - إبراز آثار الدعوة وعوامل نجاحها في ذلك الزمن، ثم انعكاساتها في العصر الحاضر.

وبناء على ما سبق رأيت من المناسب دراسة هذا الموضوع تحت

= انظر: ابن رُشيد الفهري السّبتي ورحلته ملء العيبة، د. علي إبراهيم كردي، مجلة كلية المعلمين بجدة العدد الخامس.

(١) ومما يشير إلى العناية بهذه الرحلة أمور منها: لوحة رسمها فنان روسي تعبر عن طريقة دفن الروس لأمواتهم استوحاها من رسالة ابن فضلان وهي موجودة في المتحف التاريخي في موسكو، وقد سجل تحتها اسم ابن فضلان مما زاد في شهرة الرحلة.

انظر: الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، زكي محمد حسن، ط. الأولى، عام ١٤٢٠هـ، الناشر: رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، ص١٨٤.

كما أن بعض الجامعات الروسية في هذا الزمن تقوم بتدريس رسالة ابن فضلان كمادة إلزامية لطلاب قسم اللغة العربية لما تضمنته من تفاصيل دقيقة تشير إلى طبيعة حياة أسلافهم. انظر: بلاد التتار والبلغار، محمد بن ناصر العبودي، ط. الأولى، الناشر: دار البيان العربي، بيروت، ص٣١. وأنتجت شركة والت ديزني في هوليود فيلماً سينمائياً يعرض رحلة ابن فضلان عام ١٩٩٩م وسيأتي الحديث عن ذلك.

عنوان: «الجانب الدعوي في رحلة أحمد بن فضلان رَحِمَهُ اللَّهُ إلى بلاد البلغار عام ٣٠٩هـ».

رابعاً: التعريف بموارد الدراسة:

إن المورد الذي تم الاعتماد عليه في هذه الدراسة هو مدونة أحمد بن فضلان لرحلته، كما تبين حيث وثق معلومات مهمة، وقد مرّت مدونته إلى حين ظهورها للنور بمراحل عدة يحسن هنا الإشارة إليها:

أولاً: النسخة الأجنبية:

إن أهم المصادر التي أسهمت في إبراز نص رسالة أحمد بن فضلان في ضوء فقدان النسخة العربية الكاملة، هي المصادر التالية:

١ ـ الفقرات والمقاطع المطولة التي أوردها ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان وكان ينقل عن نسخة أصلية للرسالة لم تصل إلينا، رغم أن ياقوت ألف كتابه بعد ٣٠٠ عام من الرحلة[١].

٢ ـ جزء من المخطوطة اكتشف في روسيا عام ١٢٣٣هـ ونشر باللغة الألمانية من قبل أكاديمية (سان بيتر سبورغ) عام ١٢٣٩هـ.

٣ ـ مخطوطان تم اكتشافهما عام ١٢٩٥هـ ضمن مجموعة التحف الأثرية الخاصة بسفير بريطانيا آنذاك في القسطنطينية وذلك بعد وفاته.

---

(١) حيث قام بعض المستشرقين من دول الشمال بدراسة مستفيضة لمحتوى معجم البلدان المتعلق ببلدان الشمال فاستخرج منها كل من الدنماركي راسموسن (RASMUSSEN) عام ١٢٣٠هـ والروسي فرين (FRAHN) سنة ١٢٣٩هـ معلومات مهمة كان من بينها نقولات عن ابن فضلان في رحلته إلى تلك الديار. فكانت هذه بداية انتباه المجتمع العلمي لابن فضلان رَحِمَهُ اللَّهُ الذي لم تكن مدونته قد اكتشفت بعد.
انظر: رحلة ابن فضلان بين الواقع والخيال، لطف الله قاري مجلة الفيصل عدد ٣٣٩ رمضان، ١٤٢٥هـ.

٤ ـ نص آخر للمخطوطة اكتشف باللغة اللاتينية في دير(إكسيموس) بشمال شرق اليونان عثر عليه في عام ١٣٥٣هـ.

٥ ـ مخطوط آخر وجد في الدنمارك.

وفي عام ١٣٧١هـ قام بعض المهتمين[١] بجمع كل المصادر الموجودة والنسخ المكتوبة باللغات العربية واللاتينية والألمانية والفرنسية والدنماركية والسويدية والإنجليزية وبدأ بعمل ترجمة شاملة لها وتوالت فيما بعد دراسات أجنبية متنوعة.

٢ ـ النسخة العربية:

إن اكتشاف المخطوط باللغة العربية كان في عام ١٩٢٤م في مدينة مشهد الإيرانية وباستقراء الأعمال العربية المعتبرة لتلك المخطوطة من نسخ وتحقيق وطباعة نجد أن أبرزها في رأيي ثلاثة أعمال وهي على النحو الآتي:

١ ـ عمل قدمه الأستاذ زكي وليدي طوغان الذي نشره عام ١٣٥٨هـ باللغة العربية مع ترجمتها بالألمانية[٢].

٢ ـ عمل قدمه الدكتور سامي الدهان رَحِمَهُ اللَّهُ، عضو المجمع العلمي العربي بدمشق، وتمكن من إصدار الطبعة الأولى عن مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٣٧٩هـ[٣].

٣ ـ عمل قدمه الأستاذ شاكر لعيبي وهو طبع المؤسسة العربية للدراسات

---

(١) وهو الأستاذ بير فراوس دولوس أستاذ الأدب المقارن في جامعة أوسلو بالنرويج. وقد شغلته هذه المهمة حتى وفاته عام ١٣٧٦هـ وقد نشرت أجزاء من ترجمته في مجلة وقائع المتحف الوطني في أوسلو عام ١٣٧٩ و١٣٨٠هـ.

(٢) انظر: رسالة ابن فضلان تحقيق د. سامي الدهان، ط. الثانية، عام ١٩٨٧م الناشر: مكتبة الثقافة العربية، بيروت، ص٤١.

(٣) وهي النسخة المعتمدة في الإحالة للرسالة في هذه الدراسة.

والنشر ببيروت عام ٢٠٠٣م وقد استفاد من عمل الدكتور الدهان وأضاف زيادات ومعلومات مفيدة.

ثم تتابعت بعد ذلك دراسات عربية متنوعة حول موضوع الرسالة، معتمدة في الغالب على ما سبق ذكره.

خامساً: تقسيمات الدراسة:

جاءت فِقَرُ الدراسة في ثلاثة مباحث قسمتها على النحو التالي:

المبحث الأول: الرحلة إلى بلاد البلغار عصرها ودوافعها وخط السير إليها:

المطلب الأول: عصر الرحلة.

المطلب الثاني: دوافع الرحلة.

المطلب الثالث: بلاد البلغار وخط السير إليها.

المبحث الثاني: جوانب الدعوة في رحلة الداعية أحمد بن فضلان رحمه الله:

المطلب الأول: الجوانب المتعلقة بالداعية.

المطلب الثاني: الجوانب المتعلقة بالمدعوين.

المطلب الثالث: الجوانب المتعلقة بموضوعات الدعوة.

المطلب الرابع: الجوانب المتعلقة بوسائل الدعوة وأساليبها.

المبحث الثالث: الآثار الدعوية للرحلة، وعوامل نجاحها، وانعكاساتها في العصر الحاضر:

المطلب الأول: الآثار الدعوية للرحلة.

المطلب الثاني: عوامل نجاح الدعوة في الرحلة.

المطلب الثالث: انعكاسات الرحلة في العصر الحاضر.

ثم الخاتمة وتشمل أبرز النتائج والتوصيات.

وأخيراً فهرس المصادر والمراجع.

هذا وأسأل الله تعالى أن ينفع بهذه الدراسة وأن يجعلها في ميزان حسنات كاتبها وقارئها..

وكتبه
د. علي بن أحمد الأحمد
ص. ب ٩٧٤٧ الرمز البريدي ١١٤٢٣
الرياض ـ المملكة العربية السعودية
البريد الإلكتروني al_ah@HoTMail.com

المبحث الأول

الرحلة: عصرها ودوافعها وخط سيرها

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: عصر الرحلة.

المطلب الثاني: دوافع الرحلة.

المطلب الثالث: بلاد البلغار وخط السير إليها.

المطلب الأول

عصر الرحلة وزمنها ومدتها

الفرع الأول

عصر الرحلة

كانت رحلة ابن فضلان رَحِمَهُ اللَّهُ في مطلع القرن الرابع الهجري وهو زمن الخلافة العباسية التي عانت في تلك الحقبة من تقلص ملحوظ في نفوذها السياسي وضعف في قوتها إلا أن الخلافة ظلت محتفظة بمكانتها الروحية والمعنوية وبقي حكام الدويلات المستقلة التي انسلخت من جسم الدولة العباسية شرقاً وغرباً يحرصون على إظهار الولاء للخلفاء.

كما كانت الخلافة تحرص على الظهور بمظهر يحفظ لها شيئاً من سمات القوة والسيطرة وبخاصة أمام الوفود الرسمية[١] التي كانت تتوارد عليها من أنحاء كثيرة لعقد مصالحات وتحالفات وتقوية الصلات في المجالات المختلفة[٢]، وكان الخليفة العباسي آنذاك هو المقتدر بالله[٣] وعاصمة الخلافة

---

(١) انظر: العالم الإسلامي في العصر العباسي، حسن أحمد محمود، ط. الخامسة، الناشر: دار الفكر العربي، القاهرة ص٣٦١. والعباسيون والبلغار وانتشار الإسلام في أوروبا الشرقية، د. محمد بن سليمان الراجحي، ط. الأولى عام ١٤١٩هـ، الناشر: بدون، ص٥١.

(٢) انظر: رحلة ابن فضلان إلى بلاد الكفار، فاخر عبد الرزاق المناع، مجلة الرسالة الإسلامية، العراق عدد ٧٨، ٧٩ رمضان، عام ١٣٩٤هـ، ص٣٣.
وللتوسع في معرفة مظاهر الأبهة التي يستقبل بها الوفود انظر: البداية والنهاية، للحافظ ابن كثير، ط. عام ١٤٠٥هـ، الناشر: دار الكتب العلمية ١١/١٣٦.

(٣) المقتدر بالله هو أبو الفضل جعفر بن المعتضد بالله، تولى الخلافة بعد أخيه المكتفي سنة ٢٩٥هـ وهو ابن ثلاث عشرة سنة وقتل سنة ٣٢٠هـ ترجم له الإمام الذهبي. =

بغداد التي اتسمت بهذا الحال الذي يشي بقوة باقية وسلطة لا زال نفوذها السياسي مستمراً، وفي هذه الأجواء انطلقت الرحلة من العاصمة بغداد.

الفرع الثاني

زمن الرحلة ومدتها

انطلقت الرحلة من بغداد يوم الخميس في الحادي عشر من شهر صفر سنة ٣٠٩ للهجرة، الموافق لليوم الحادي والعشرين من شهر حزيران/يونيو سنة ٩٢١ للميلاد، بأمر من الخليفة العباسي المقتدر بالله إلى حاكم البلغار (ملك الصقالبة). ووصل ابن فضلان إليه يوم الأحد الثاني عشر من شهر محرم سنة ٣١٠هـ للهجرة، الموافق للحادي عشر من شهر أيار/مايو سنة ٩٢٢ للميلاد، أي دامت رحلته أحد عشر شهراً، أما العودة وزمنها فلم تذكر في المصادر الموثوقة.

= انظر: سير أعلام النبلاء، ط. السابعة، عام ١٤١٠هـ، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ١٨/ ٤٣ ـ ٥٦.

دوافع الرحلة

أولاً: تعريف الدافع:

لغة: قال ابن فارس: «الدال والفاء والعين أصل صحيح واحد مشهور»[١].

وقال الأصمعي: الدَّوافِع مَدافِعُ الماء إلى المِيث، والمِيث تَدْفَع إلى الوادِي الأَعظم[٢]. والاندفاع: الاستمرار والمضي في الأمر[٣] ويقال: طريق يدفع إلى مكان كذا: أي ينتهي إليه[٤].

اصطلاحاً: عرف بعدة تعريفات منها: أنه: «المحرض النفسي لاتخاذ الوسائل التي توصل إلى الأهداف»[٥] وقيل في تعريفه: «باعث على الفعل بطريقة معينة»[٦].

---

(١) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ط. ب. ر، عام ب. ت، الناشر: دار الجيل ٢/ ٢٨. مادة: (دفع).

(٢) المَيْثاء: التَّلْعة التي تَعْظُم حتى تكون مثلَ نصف الوادي أو ثُلُثيه.
انظر: لسان العرب، لابن منظور، ط. ب. ر، عام ١٤١٢هـ، الناشر: دار صادر، بيروت، ٢/ ١٩٣. مادة: (ميث).

(٣) انظر: لسان العرب، لابن منظور، ٨/ ٨٧. مادة: (دفع). وتاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي، ط. الأولى، عام ١٤٠٣هـ، الناشر: مطبعة حكومة، الكويت، ٢٠/ ٥٥٨. مادة: (دفع).

(٤) انظر: المرجع السابق، ٨/ ٨٩. مادة: (دفع).

(٥) أجنحة المكر الثلاثة، د. عبد الرحمٰن الميداني، ط. الثامنة، عام ١٤٢٠هـ، الناشر: دار القلم، دمشق، ص١٢٥.

(٦) قاموس علم الاجتماع، د. محمد عاطف غيث، ط. الأولى، عام ١٩٧٩، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ص٢٠٦.

ثانياً: دوافع الرحلة:

لقد بعث حاكم البُلغار (ألمش بن يلطوار) في عام (٣٠٩ هجري الموافق ٩٢١م) رسالة إلى الخليفة العباسي المقتدر بالله، يُعْلمه فيها عن رغبته باعتناق الإسلام وطلب منه أن يرسل إلى بُلغار من يعلمهم أصول الدين الإسلامي. كما أوضح ذلك ابن فضلان بقوله: «**لما وصل كتاب ألمش بن يلطوار ملك الصقالبة إلى أمير المؤمنين المقتدر يسأله فيه البعثة إليه ممن يفقهه في الدين ويعرفه شرائع الإسلام ويبني له مسجداً وينصب له منبراً ليقيم عليه الدعوة له في بلده وجميع مملكته ويسأله بناء حصن يتحصن فيه من الملوك المخالفين له فأجيب إلى ما سأل من ذلك**»[١].

وحيث استجاب الخليفة لطلب حاكم البُلغار ـ كما اتضح ـ المتضمن شقين دعوي وسياسي فقد أوفد بعثة مكونة من أحمد بن فضلان وسوسن الرسّي وتيكين التركي وبارس الصقلبي، وكلهم يعملون في ديوان الخليفة، وباستثناء ابن فضلان فإن بقية أعضاء البعثة المرجح أنهم ينتمون من حيث الأصل إلى منطقة حوض الفولغا[٢].

وبينما تبدو أسماء البعثة هذه مغمورة إلى حد كبير إلا أن ابن فضلان الذي اختير لهذه المهمة قد أنيطت به مسئولية قيادة الرحلة، لذا يمكن القول بأن البعثة كانت برئاسته يشير إلى ذلك قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «**فنُدبت أنا لقراءة الكتاب عليه، وتسليم ما أُهدي إليه، والإشراف على الفقهاء والمعلمين**»[٣].

وبهذا يتبين أن الغرض الذي من أجله كانت الرحلة هو العمل على نشر الإسلام وتعليم الناس فقه الشريعة وتبصيرهم بأمور دينهم، والإشراف على المعلمين والفقهاء.

---

(١) رسالة ابن فضلان ص٦٨.
(٢) حاشية المحقق على رسالة ابن فضلان ص٦٨.
(٣) رسالة ابن فضلان ص٦٨.

إضافة إلى مساندة الدولة المسلمة (البلغار) وتقديم المساعدات التي تسهم في تحصينهم وحمايتهم من الملوك المجاورين خاصة ملوك الخزر اليهود الذين كانوا قد طغوا على شعوب تلك البلاد وهددوا كيانها وفرضوا رسوماً وضرائب تدفع لهم[١].

فقام بالرحلة ووثق وقائعها في رسالة أطلق عليها رسالة ابن فضلان، وسبق الحديث عن اكتشافها كمخطوط ومراحل طباعتها وتحقيقها بنسختيها الأجنبية والعربية.

(١) ويوضح ياقوت الحموي سبب خوف ملك البلغار من الملوك المخالفين له فيقول: «وكان ملوك الخزر من أصل يشبه البلغار، وكانت مملكتهم عند مصب نهر الفولغا، لكنهم من أتباع الديانة اليهودية، وكانوا يعدون ملوك البلغار تبعاً لهم» انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي. مادة: (بلغار).

المطلب الثالث

بلاد البلغار وخط السير إليها

يمكن بيان ملامح من بلاد البلغار البلد الذي توجهت له رحلة الدعوة وخط السير إليها من خلال الفرعين التاليين:

الفرع الأول

بلاد البلغار

بلغار في الأصل عَلَم على مدينة معينة وهي قصبة مملكة البلغار وهو لفظ يطلق أيضاً على الأمة كما يطلق على الدولة[١] فيقال مدينة بلغار وأمة البلغار ومملكة البلغار.

وأما أصل البلغار ونسبهم فتشير بعض الروايات إلى أنهم ينحدرون من أصل تركي[٢].

وتشير روايات أخرى أنهم ينحدرون من أصول تركية صقلبية، وهذا ربما يقود إلى سبب تسمية ابن فضلان البلغار بالصقالبة أحياناً[٣].

تؤكد الدراسات الأوروبية التي دارت حول رسالة ابن فضلان بأن بلاد البلغار التي قصدها هي حديثاً جمهورية تتارستان إحدى الجمهوريات التي

---

(١) انظر: تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار، الشيخ الرمزي، ط. الأولى، عام ١٣٢٥هـ، الناشر: مطبعة الكريمية الحسينية، أورينورغ، ١/ ٢٦١.

(٢) انظر: تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار، الشيخ الرمزي، ١/ ٢٦١.

(٣) انظر: المرجع السابق، ١/ ٢٤٨.

تتكون منها روسيا الاتحادية، والتي اتخذت من يوم وصول ابن فضلان لهم في الثاني عشر من شهر حزيران/مايو عطلة دينية من كل سنة[١].

وحيث يرى المؤرخون أن غموضاً يحيط بجوانب عديدة من تاريخ البلغار قبل القرن الرابع الهجري لا يتاح معه كشف النقاب عن مجريات وأحداث كثيرة؛ إلا أن هذه الدراسة ستلمح إلماحات يسيرة حول بلاد البلغار ـ قدر ما تمدنا به المصادر المتاحة ـ لعلها توضح ما له صلة بجانب الدعوة في تلك الرحلة:

١ ـ الملمح الديني:

ترجح بعض الروايات أن مملكة البلغار دخلت في الإسلام قبيل رسالة حاكم بلاد البلغار للخليفة العباسي المتضمنة طلب من يفقهه في الدين ويعلمه شعائر الإسلام.

ولذا فإن مدونة ابن فضلان أثناء رحلته تتضمن ما يشير إلى وجود مخالفات لدى كثير من البلغار يشعر معها القارئ بأن دخولهم في الإسلام كان حديثاً ومن ذلك أنه أورد عنهم ما يلي:

---

(١) وهي ليست دولة بلغاريا المعروفة اليوم والواقعة في دول البلقان بين يوغسلافيا واليونان ورومانيا وتركيا وعاصمتها صوفيا. حيث إن بلغار موضوع الرحلة تبعد نحو ٦٠٠ ميل إلى جهة الشرق من مدينة موسكو. ومن المفيد الإشارة هنا إلى أن (بُلغار) الشرقية الشمالية (تتارستان) حالياً، وبلغاريا (الغربية) تشكلتا نتيجة تفكك دولة (بُلغار الكبرى) التي كانت تمتد حدودها من سواحل بحر قزوين وحوض نهر الفولغا في الشرق إلى منطقة البلقان في الغرب. انظر: الإسلام والمسيحية في التاريخ الروسي المبكر، الدكتور عمر محمود شعار. مقال علمي منشور في الشبكة العنكبوتية في موقع بوابة موسكو. ونجد أن بعض المؤرخين فرقوا بينهما بنسبة كل منهما إلى النهر الأقرب، فقالوا: بلغار الفولغا، وبلغار الدانوب كابن الأثير في كتابه الكامل، في حين غفل آخرون عن الفرق بينهما وظنوا أنهما شيئاً واحداً كالمسعودي في مروج الذهب. انظر: العباسيون والبلغار وانتشار الإسلام في أوروبا الشرقية، د. محمد الراجحي، ص١٦.

- تبركهم بنباح الكلب مع أن ذلك مخالف للنصوص التي تحث على الاستعاذة بالله من الشيطان حين سماع ذلك[١].
- شربهم من شجرة مسكرة[٢].
- أحقية تربية الطفل عند جده دون أبيه[٣].
- أن الأخ يرث أخاه دون الابن[٤].
- اختلاط النساء والرجال عراة أثناء الاغتسال في النهر[٥].
- التسمي بأسماء ورد ذكرها في القرآن لكنها أسماء يكره التسمي بها كطالوت[٦].

إلى غير ذلك مما يدل على هذا المعنى، وملك البلغار في كل ذلك يتقبل من ابن فضلان النصح والإرشاد رغبة في توافق عمله مع مضامين الإسلام قدر الإمكان.

٢ ـ الملمح السياسي:

ظهرت البلغار على مسرح الأحداث منذ فترة مبكرة نسبياً إلا أن تاريخها ظل يكسوه الغموض كما سبق بيانه طيلة ثلاثة قرون تقريباً أي منذ استيطانهم على ضفاف نهر الفولغا شمال بحر قزوين، وأبرز ما يعرف عنهم في هذه المدة يتمثل في نجاحهم في إخضاع بعض الطوائف المجاورة لنفوذهم، ومن بينها بعض قبائل الترك إضافة إلى اتخاذهم مواطن لم تلبث فيما بعد أن تطورت حتى أضحت مدناً كبيرة[٧].

---

(١) رسالة ابن فضلان ص١٢٧.
(٢) المرجع السابق ص١٢٩.
(٣) المرجع السابق ص١٣١.
(٤) المرجع السابق ص١٣٢.
(٥) المرجع السابق ص١٣٤.
(٦) المرجع السابق ص١٣٥.
(٧) انظر: العباسيون والبلغار وانتشار الإسلام في أوروبا الشرقية، د. محمد الراجحي، ص٢٨.

ويبدو أن البلغار كانوا يعانون كثيراً من سياسة الضغط والتسلط التي تمارس ضدهم من قبل زعماء الخزر الذين تمتعوا بنوع من النفوذ والقوة وفرض السيطرة في تلك المناطق، ويؤكد هذا ما نص عليه ابن فضلان من أن الخزر كانوا يفرضون ضرائب على البلغار بقوله: «وعلى ملك الصقالبة ضريبة يؤديها إلى ملك الخزر من كل بيت في مملكته جلد سمور، وإذا قدمت السفينة من بلد الخزر إلى بلد الصقالبة ركب الملك فأحصى ما فيها وأخذ من جميع العشر، وإذا قدم الروس أو غيرهم من سائر الأجناس برقيق فللملك أن يختار من كل عشرة أرؤس رأساً».

ثم أوضح بأن ابن ملك البلغار رهينة عند ملك الخزر فقال: «وابن ملك الصقالبة رهينة عند ملك الخزر. وقد كان اتصل بملك الخزر عن ابنة ملك الصقالبة جمال فوجه يخطبها فاحتج عليه ورده فبعث وأخذها غصباً وهو يهودي وهي مسلمة فماتت عنده، فوجه يطلب بنتاً له أخرى فساعة اتصل ذلك بملك الصقالبة بادر فزوجها لملك إسكل وهو من تحت يده خيفة أن يغتصبه إياها كما فعل بأختها، وإنما دعا ملك الصقالبة أن يكاتب السلطان ويسأله أن يبني له حصناً خوفاً من ملك الخزر»[١].

وتقدم أن صلة البلغار بالخلافة الإسلامية إضافة إلى الرغبة الصادقة في اعتناق الدين الإسلامي والتعرف على شعائره كان من أبرز أسبابه طلب المساعدة بما يسهم في منع الظلم والحيف الذي يقع عليهم من جيرانهم الخزر[٢].

٣ ـ الملمح الاقتصادي:

مملكة البلغار آنذاك كانت واسعة الأرجاء وأموالها وخراجها كثير كما

---

(١) رسالة ابن فضلان ص٣٤.

(٢) انظر: دولة البلغار المسلمين في حوض الفولغا، حسين الداقوقي بحث منشور في مجلة المؤرخ العربي عدد ٢١، عام ١٤٠٢هـ، ص٢٠٦.

بيّن ذلك ملك البلغار نفسه حين سأله ابن فضلان حيث قال: «وسألته يوماً فقلت له: مملكتك واسعة وأموالك جمة وخراجك كثير، فلم سألت السلطان أن يبني حصناً بمال من عنده لا مقدار له؟ فقال: رأيت دولة الإسلام مقبلة وأموالهم يؤخذ من حلها فالتمست ذلك لهذه العلة ولو أني أردت أن أبني حصناً من أموالي من فضة أو ذهب لما تعذر ذلك علي وإنما تبركت بمال أمير المؤمنين فسألته ذلك»[١].

الفرع الثاني

خط سير الرحلة

إذا ما تتبّعنا الأماكن والمدن التي يذكرها ابن فضلان في مدونته التي مرّ عليها واحدة تلو الأخرى سوف نسجّلُ التالي:

بغداد ـ النهروان ـ الدسكرة ـ حلوان ـ قرميسين ـ همذان ـ ساوة ـ الري (قرب طهران اليوم) ـ خوار الري ـ سِمنان ـ الدامغان ـ نيسابور ـ سرخس ـ مرو ـ قشمهان ـ آمل ـ آفرير ـ بيكند ـ بخارا ـ خوارزم ـ الجرجانية ـ جيت ـ بلد الصقالبة (البلغار)[٢].

(١) رسالة ابن فضلان ص١٤٦.

(٢) ويذهب البعض إلى أن خط سير الرحلة امتد إلى البلدان الإسكندنافيه ولكن المرجح أن الرحلة انتهت إلى بلاد البلغار، ثم بدأت رحلة العودة إلى بغداد كما تشير إليه القرائن، ولذا فهو لم يَزُرْ البتّة البلدانَ الإسكندنافية، كما زعم الكاتب الأمريكي ميكائيل كريشتون (Michael Crichton) في روايته: «أكلة الأموات» التي استوحاها من مدونة رحلة ابن فضلان والتي تحولت فيما بعد الى فيلم سينمائي سنة ١٩٩٩م تحت عنوان: المحارب ١٣ (th 13 The Warrior) فالكاتب تخيل ذلك إذ لم يجد في النص الأصلي ما يؤكد طريق العودة ثم تابعه بعض المترجمين للرواية وسيأتي مزيد بيان لذلك.

المبحث الثاني

جوانب الدعوة في الرحلة

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الجوانب المتعلقة بالداعية.

المطلب الثاني: الجوانب المتعلقة بالمدعوين.

المطلب الثالث: الجوانب المتعلقة بموضوعات الدعوة.

المطلب الرابع: الجوانب المتعلقة بوسائل الدعوة وأساليبها.

المطلب الأول

جوانب الدعوة المتعلقة بالداعية
(أحمد بن فضلان)

الفرع الأول
التعريف بالداعية

اسمه:

هو أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد، هكذا ورد في بعض المصادر[١].

---

(١) انظر: الأعلام، خير الدين الزركلي، ط. الحادية عشرة، عام ١٩٩٥م، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت ١/ ١٩٥. وقد أورد الشيخ محمد بن ناصر العبودي في كتابه: بلاد التتار والبلغار، أنه عثر على رسالة حققها د. علي الشبل أستاذ العقيدة بجامعة الإمام تضمنت اسم ابن فضلان مذكوراً كاملاً في سلسلة الرواة الذين رووا المناظرة - النص المحقق - ونص الاسم الوارد في السلسلة:

«.. حدثنا أبو بكر أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد مولى محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب إملاء قال: حدثنا..» نلحظ أنه ورد هنا راشد بينما في غالب المصادر رشيد والمثبت في الرواية هو الأقرب، حيث إن الرواة لهم عناية بتدقيق الأسماء أكثر من غيرهم. انظر: بلاد التتار والبلغار، محمد بن ناصر العبودي، ص١٨٨.

قلت: نلحظ أن كنيته أبو بكر وهي لم ترد في أي من المصادر المتداولة ويؤيد صحة هذه الكنية أن ملك البلغار كان يناديه فيما بعد بأبي بكر الصديق والذي تبين أن: (أبو بكر) كنيته و(الصديق) نسبة إلى صدقه، ثم رأيت للدهان رحمه الله تعليقاً نحو هذا إلا أنه لم يجزم به حيث إنه لم يبلغه ورود كنيته في السلسلة المشار إليها. انظر: رسالة ابن فضلان ص١٢٢.

الجانب الشخصي في حياته:

لا تمدنا المصادر بمعلومات عن هذه الشخصية لكن يمكن القول أنه نشأ في بغداد في آوخر القرن الثالث الهجري. وقد كلف في عام ٣٠٩هـ ـ ٩٢١م شخصياً من قبل الخليفة العباسي على رأس بعثة الى بلاد البلغار لتقديم الدعوة والمساعدات. وقد غادرت البعثة تحت قيادته كما سبق بيانه.

وقابل في أحد مراحل رحلته الجيهاني الذي كان حينذاك ما يزال كاتب الملك وله مكانة كبيرة وكان يدعى في خراسان الشيخ العميد[١] مما يشير إلى مكانة ابن فضلان التي خولته لمقابلته.

وتذكر الدراسات أن ابن فضلان قد حافظ على صلته بالجيهاني فكان يطلعه فيما بعد على تجربته في رحلته الى بلاد البلغار، وربما أطلعه على ذلك بالمكاتبة الشخصية أو المشافهة، حيث وجدت تلك المعلومات التي أطلعه عليها طريقها إلى النسخ المتأخرة من كتاب الجيهاني المسالك والممالك ومنه انتقلت الى كتاب المروزي طبائع الحيوان، والتي يبدو وكأنه صدى لما كتبه ابن فضلان في رحلته[٢].

ومن المتوقع أن رجلاً يبعث للدعوة إلى الله تعالى إلى أقاصي الأرض أنه يمتلك الكثير من الحكمة والبصيرة وبعد النظر وحسن الهيئة، وهو ما نظنُّ حالَه كذلك بالنظر إلى ما واجهه من عوائق ومشكلات تتعلق بالدعوة من جهة وبالسياسة من جهة أخرى حيث نجده تمكن من تجاوزها بأقل الأضرار،

---

(١) الجيهاني أبو عبد الله وزير نصر بن أحمد السّاماني صاحب خراسان؛ كان أديباً فاضلاً ذكره محمد بن إسحاق النديم وقال: له من الكتب كتاب المسالك والممالك، والزيادات في كتاب الناشىء من المقالات، والعهود والحلفاء والأمراء. انظر: الوافي في الوفيات ١/١٠٣٨. وقال ياقوت الحموي هو: الوزير أبو عبد الله محمد بن أحمد الجيهاني وزير السامانية ببخارى، وكان أديباً فاضلاً شهماً جسوراً وله تآليف وقد ذكرته في كتاب أخبار الوزراء انظر: معجم البلدان ٢/٢٠٢.

(٢) انظر: الصين في مخطوطة طبائع الحيوان للمروزي، د. مؤيد عبد الستار جريدة الاتحاد الوطني الكردستاني ١٤/٥/٢٠٠٧م، العدد ١٥٦٠ السنة الخامسة عشرة.

وتبدى لنا جانباً من هيئته مما هو من سنن المرسلين، إذ كانت له لحية تجمله كما قال الأول:

لعمرك ما أزرت بيوسف لحية ... لكن زادته حسناً وأضعافاً

يفاد ذلك من قوله: «ولقد كنت أخرج من الحمام فإذا دخلت إلى البيت نظرت في لحيتي وهي قطعة واحدة من الثلج..»[١].

الجانب العلمي:

لم يَرِدْ أيضاً توثيقٌ لحياة ابن فضلانَ العلمية في أيٍّ من المراجع التي بين أيدينا، مثلما لا توجد تفصيلات عن أعلام كثر في التاريخ الإسلامي، لكن نستطيع القول بأنه يعد من أقدم الرحالة المسلمين الذين دونوا تفاصيل رحلتهم وهي غاية في الأهمية عن البلاد التي مرّ فيها.

وإنَّ بعثةً كهذه كانتْ بلا ريب تستلزم فقيهاً، وهو ما نظنُّ حالَه كذلك أيضاً حينما كان يجيب على مسائل فقهية متنوعة من مستفتين ذوي مشارب مختلفة، بل يتصدى لتعيلم ملك البغار علم المواريث حينما رأى ما وقعوا فيه من الخطأ في هذا الجانب.

ومما يذكر في هذا السياق أن ابن فضلان له صلة واهتمام بعلم الإسناد والرواية، فقد ورد اسمه ضمن سلسلة رواة في مناظرة من المناظرات المهمة بعنوان: «مناظرة للإمام الحجة جعفر بن محمد الصادق مع الرافضي في التفضيل بين أبي بكر وعلي رضي الله عنهما»[٢]، وفي ظني أنه هذه إضافة مهمة في التعريف بهذا الشخصية[٣].

---

(١) انظر: رسالة ابن فضلان ص٨٥.

(٢) تحقيق د. علي الشبل وهي مطبوعة عام ١٤١٧هـ.

(٣) وأول من أشار إلى هذا حسب علمي الشيخ محمد بن ناصر العبودي في كتابه بلاد التتار والبلغار ص١٨٨.

كما يتضح أن لديه ثقافةً عامة وذلك من خلال مطالعتنا للظواهر الاجتماعية حين يصفها ويأخذ في تحليل أسبابها..

واستناداً إلى جوانب علمية من مدونة الرحلة فقد وصفته بعض الدراسات بأنه جغرافي باعتبار ما تضمنته من أسماء البلدان ووصفٍ للأمكنة وطبيعة مناخها.. وبعضها يصفه بأنه أديب بارع بناء على لغة الرسالة المكتوبة وبيانها الساحر إلى غير ذلك، ويعده مفكرو الغرب أحد أعلام التواصل الحضاري بين الشرق والغرب.

وفي ظني أن وصف (الداعية) من أولى الأوصاف التي يمكن إطلاقها عليه إضافة لما سبق، باعتبار أن المهمة الأساسية له انبجست من الدعوة، وفي اتجاهها انطلقت، وفي رحى فلكها دارت كما سيظهر في هذه الدراسة، فهو إذاً عالم موسوعي من طِراز الثلة الأولين إذ كان الواحد منهم يفتنُّ في معارف متنوعة تؤهله للقيام بعظائم المهام التي لا تنحصر في نطاق محدّد.

ولهذا فإن كان هنالك اهتمام من الدارسين بخلع الألقاب العلمية على الشخصية محل الدراسة فالذي ينبغي - في رأيي - أن يكون هذا اللقب في مقدمة ألقابه التي يلتمسها الباحثون لصاحب هذه الرحلة.

وفاته:

وفاته ليست معلومة لدى المحققين حسب المصادر التي وقفت عليها.

الفرع الثاني

صفات الداعية من خلال الرحلة

وفيما يلي نلتمس بعض صفاته التي نستوحيها من الرحلة:

١ - الشجاعة والإقدام:

نلمح هذه الصفة ابتداء من موافقة أحمد بن فضلان على القيام بهذه الرحلة الشاقة والخطرة ابتداء كما تبرز في مواقف متناثرة من الرحلة، منها أن

أمير خوارزم الذي استضاف أفراد الرحلة نصحهم بعدم التوغل إلى جهة بلاد البلغار وأن ذلك قد يؤدي بحياتهم، إلا أن ابن فضلان عزم على المضي رغم ذلك التنبيه وهو ما يبرز للدارسين جانب الشجاعة من شخصيته، حيث قال عن أمير خوارزم: «.. وناظَرَنا في الدخول إلى بلد الترك وقال: لا آذن لكم في ذلك ولا يحل إلي تركُكم تغرّرون بدمائكم وأنا أعلم أنها حيلة..[١] فبينكم وبين هذا البلد الذي تذكرون **ألف قبيلة من الكفار**، وهذا تمويه على السلطان وقد نصحتكم»[٢] إلا أنه عزم على المسير كما تقدم وأقنع أمير خوارزم بأهمية القيام بالرحلة رغم كل تلك المخاطر المحتملة.

٢ ـ الاتزان وقوة الشخصية:

في ثنايا الرسالة يبدو للباحث أن ابن فضلان كان صاحب شخصية قوية ومتزنة، بل كثير من مواقفه تصور لنا أنه واثق مما يصنع، حتى إنه كان يأمر وينهى ملكَ البلغار نفسَه. قال ابن فضلان: «وبدأتُ فقرأتُ صدرَ الكتابِ فلمَّا بلغتُ منه: سلامٌ عليكَ فإنِّي أحمدُ إليكَ الله الذي لا إلـٰهَ إلا هو. قلتُ: رُدَّ على أميرِ المؤمنين السلامَ، فردّ ورَدُّوا جميعاً بأسرِهم»[٣] مع أن ملك البلغار وصف بأنه مهاب الجانب.

وهذه القوة وتلك الثقة نابعة من عظم رسالته وأصالة مهمته المترسخة في نفسه.

---

(١) يعني حيلة من قبل البلغار لاستدراج البعثة كما اعتقد أمير خوارزم.

(٢) رسالة ابن فضلان ص٨١. لقد كانت مخاوف أمير خورازم في محلها إذ اعترضت مخاطر كثيرة طريق الرحلة منها ما أثبته ابن فضلان في رسالته بقوله: «ووقفنا في بلد قوم من الأتراك يقال لهم الباشغرد فحذرناهم أشد الحذر، وذلك أنهم شر الأتراك وأقذرهم وأشدهم إقداماً على القتل، يلقى الرجل الرجلَ فيفرز هامته ويأخذها..» رسالة ابن فضلان ص١٠٨. وموقف آخر حين قطع طريقهم بعض القبائل وتشاوروا في أمرهم فكانت الآراء أن تقطع أطراف البعثة نصفين نصفين. انظر: رسالة ابن فضلان ص١٠٤.

(٣) رسالة ابن فضلان ص١١٤.

٣ ـ النباهة ودقة الملاحظة:

كما أنه يمكن الاستنتاج بأنه يتصف بقوة الملاحظة ودقتها فقد اتسم بأن له عقل باحث عن المعرفة يتحقق من الأمور، مما مكّنه أن يقدم مجموعة من البيانات والمعلومات المهمة عن الشعوب التي مر بها[١].

وهذا من الأمور التي حفزت الروس والغرب لأن يعنوا برسالته. قال المستشرق الروسي فلاديمير مينورسكي (v.minorsky) حول ذلك: «إنه أعطى وصفاً دقيقاً لطريقة دفن زعيم روسي، حتى استطاع أحد رسامي الروس في نهاية القرن التاسع عشر ميلادي أن يرسم صورة لتلك المشاهد اعتماداً على وصف ابن فضلان»[٢].

ولما تحدث عن أحد قادة الترك الذين مر بهم في رحلته واصفاً بعض عاداتهم نَبَّه إلى أن زوجته هي امرأة أبيه فقال: «فرأيت امرأته وقد كانت امرأة أبيه»[٣].

هذه بعض الملامح التي ربما تكشف لنا عن جوانب من شخصية ابن فضلان رَحِمَهُ اللَّهُ، إذ المصادر التي تم الاطلاع عليها لا تمدنا بالمعلومات عنه.

(١) انظر: رسالة ابن فضلان إسهام رائد ومبكر في العلوم الاجتماعية، د. عبد الله حسن العبادي، مجلة جامعة الإمام عدد ٩ محرم، عام ١٤١٤هـ. ص٥١٨.

(٢) انظر: زكي حسن ص٣١. والرحلة والرحالة المسلمون، د. أحمد رمضان، ط. الأولى، الناشر: دار البيان العربي، جدة ٥١.

(٣) رسالة ابن فضلان ص١٠٢.

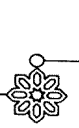

المطلب الثاني

جوانب الدعوة المتعلقة بالمدعوين

تحدثتُ عن الجوانب المتعلقة بالداعية، ولبيان جوانب الدعوة المتعلقة بالمدعوين فيحسن ذكر أصناف الدعوين ممن بادر بتقديم الدعوة لهم وجهوده في ذكر عاداتهم وتقييدها وهي على النحو الآتي:

الفرع الأول

أصناف المدعوين

يبرز من خلال الرصد الدعوي الذي عرضه ابن فضلان في رسالته أنه قدم الدعوة لعدد من المدعوين يمكن تصنيفهم وفق الآتي:

أولاً: الحكام والملوك:

١ ـ ملك الترك الغزية:

ملك الترك الغزية كان ممن مرَّ به ابن فضلان في طريقه إلى بلاد البلغار، وقد أحسن الوفادة. قال ابن فضلان عن تقديم الدعوة له: «.. فلما كان في الليل دخلت أنا والترجمان إليه وهو في قبته جالس ومعنا كتاب نذير الحرمي إليه يأمره فيه بالإسلام ويحضه عليه ووجه إليه خمسين ديناراً فيها عدة دنانير مسيبية وثلاثة مثاقيل مسك وجلود أديم وثياب مَرُوية، وقطعنا له منها قرطقين وخف أديم وثوب ديباج وخمسة أثواب حرير، فدفعنا إليه هديته ودفعنا إلى امرأته مقنعة وخاتماً»[(١)].

---

(١) رسالة ابن فضلان ص١٠٢.

٢ ـ ملك بلغاريا:

حفلت رحلة ابن فضلان بتقديم دعوة مستمرة لملك البلغار التي هي البلد المقصود بالرحلة. وتشير رسالة ابن فضلان إلى عدد من الأمور في هذا الجانب سيأتي الحديث عنها في موضوعات الدعوة.

ثانياً: عامة الناس:

لم تقتصر الدعوة على الحكام والرؤساء، بل امتدت إلى كل من هو مخاطب بالدعوة لقد اهتبل ابن فضلان الفرص طوال رحلته في دعوة العامة رجالاً ونساء وأطفالاً، فمن ذلك تقديمه الدعوة إلى قبيلة مكونة من خمسة آلاف نفس ما بين امرأة ورجل وطفل كانوا قد أسلموا حديثاً[١].

ودعا إلى الإسلام رجلاً وعائلته فأسلم هو وزوجته وأمه وأولاده، وعلّمهم سوراً من القرآن فكانوا فرحين بذلك فرحاً عظيماً[٢].

وبهذا يتضح أن الدعوة المقدمة كانت شاملة لأصناف المدعوين الذين التقاهم في رحلته.

الفرع الثاني

رصد عادات المدعوين وصفاتهم وأحوالهم من خلال الرحلة

ومما يتصل بالمدعوين عند ابن فضلان في رحلته أنه كان يذكر عادات المدعوين حكاماً ومحكومين رجالاً ونساء ويدقق في تفصيلات متنوعة لها ثمرتها في علم الدعوة كما سيتضح.

فتراه مثلاً يسوق مراسم الاستقبال الرسمي وملامحه، ويتحدث كثيراً عن جوانب دينية واجتماعية واقتصادية للناس، ويناقش مظاهر كثيرة رآها أثناء

---

(١) المرجع السابق ص١٣٥.
(٢) المرجع السابق ص١٣٥.

الرحلة، يحللها ويستقصي أسبابها بحسب ما لديه من علم.

ومن ذلك عندما لاقى أقواماً من (الباشغرد) يعبدون خشبة نحتت على هيئة معينة قال واصفاً ذلك بدقة: «وكل واحد منهم ينحت خشبة على قدر الإحليل ويعلقها عليه فإذا أراد سفراً أو لقاء عدو قبلها وسجد لها» وقال: «يا رب افعل بي كذا وكذا»، ويتقصّى سبب هذا الاعتقاد الغريب لديهم بالسؤال كما بيّنه في مدونته بقوله: «فقلت للترجمان: سل بعضهم ما حجتهم في هذا ولِمَ جعله ربه؟» فيأتيه الجواب من قول مخاطبه: «لأني خرجت من مثله فلست أعرف لنفسي خالقاً غيره»[(١)].

ويوضح طريقة المدعوين في دفنهم الموتى بأن الرجل منهم يُغسل كالمسلمين ويرسمون حوله دائرة في الأرض ويحفرون قبراً. إلا أنه يبين أن هناك عدداً من المخالفات منها أنهم يضربون أنفسهم بالسيور، وأن امرأة الميت لا تتزوج إلا بعد مرور سنتين على وفاة زوجها..[(٢)].

وعندما يتحدث عن الأتراك في رحلته يقول: «أفضينا إلى قبيلة من الأتراك يعرفون بالغزية وإذا هم بادية لهم بيوت شعر يحلون ويرتحلون ترى منهم الأبيات في كل مكان..»[(٣)].

ثم يبين عقيدتهم من خلال المشاهدة فيقول: «كالحمير الضالة لا يدينون لله بدين ولا يرجعون إلى عقل ولا يعبدون شيئاً بل يسمون كبراءهم أرباباً فإذا استشار أحدهم رئيسه في شيء قال له: يا رب إيش أعمل في كذا وكذا، وأمرهم شورى بينهم، غير أنهم متى اتفقوا على شيء وعزموا عليه جاء أرذلهم وأخسهم فنقض ما قد أجمعوا عليه»[(٤)].

ويضيف: «وسمعتهم يقولون: لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله تقرباً بهذا القول إلى من يجتاز بهم من المسلمين لا اعتقاداً لذلك، وإذا ظلم أحد منهم

---

(١) رسالة ابن فضلان ص١٠٨.
(٢) المرجع السابق ص١٤٣.
(٣) المرجع السابق ص٩١.
(٤) المرجع السابق ص١٠٢.

أو جرى عليه أمر يكرهه رفع رأسه إلى السماء وقال: (بير تنكري) وهو بالتركية الله الواحد؛ لأن بير بالتركية واحد وتنكري: الله بلغة الترك»[١].

ويصف بعضاً من عاداتهم فيقول: «ولا يستنجون من غائط ولا بول ولا يغتسلون من جنابة ولا غير ذلك، وليس بينهم وبين الماء عمل خاصة في الشتاء، ولا يستتر نساؤهم من رجالهم ولا من غيرهم، كذلك لا تستر المرأة شيئاً من بدنها عن أحد من الناس»[٢].

كما يحذّر ـ في مدونته ـ ضمن هذا الرصد الدعوي من أمر يرى أهمية بيانه للدعاة الذين من بعده بقوله: «ولا يقدر أحد من المسلمين أن يجتاز ببلدهم حتى يجعل له منهم صديقاً ينزل عليه ويحمل له من بلد الإسلام ثوباً ولامرأته مقنعة وشيئاً من فلفل وجاورس وزبيب وجوز، فإذا قدم على صديقه ضرب له قبة وحمل إليه من الغنم على قدره حتى يتولى المسلم ذبحها؛ لأن الترك لا يذبحون وإنما يضرب الواحد منهم رأس الشاة حتى تموت»[٣].

ويلفت النظر إلى ملك من ملوكهم بأنه كان قد أسلم: فقيل له من قبل قومه: إن أسلمت لم ترؤسنا وطالبوه بالتخلي عن منصبه فتخلى عن الإسلام..[٤].

وحين يذكر الصقالبة يقول عن عاداتهم: «فلما كان بعد ساعة وجه إلينا فدخلنا إليه وهو في قبته والملوك عن يمينه وأمرنا أن نجلس عن يساره وإذا أولاده جلوس بين يديه وهو وحده على سرير مغشى بالديباج الرومي، فدعا بالمائدة فقدمت وعليه اللحم المشوي وحده فابتدأ هو فأخذ سكيناً وقطع لقمة وأكلها وثانية وثالثة ثم احتز قطعة دفعها إلى سوسن الرسول فلما تناولها جاءته مائدة صغيرة فجعلت بين يديه، وكذلك الرسم لا يمد أحد يده إلى الأكل حتى يناوله الملك لقمة فساعة يتناولها قد جاءته مائدة ثم ناولني فجاءتني مائدة ثم

---

(١) المرجع السابق، ص٩٢.
(٢) المرجع السابق، ص٩٢.
(٣) رسالة ابن فضلان، ص٩٤.
(٤) انظر: المرجع السابق، ص٩٨.

قطع قطعة وناولها الملك الذي عن يمينه فجاءته مائدة ثم ناول الملك الثاني فجاءته مائدة ثم ناول الملك الرابع فجاءته مائدة ثم ناول أولاده فجاءتهم الموائد وأكلنا كل واحد من مائدته لا يشركه فيها أحد ولا يتناول من مائدة غيره شيئاً..»[١].

ولما تطرّق إلى (الروس) قال عن بعض عاداتهم وأحوالهم: «وهم أقذر خلق الله لا يستنجون من غائط ولا بول ولا يغتسلون من جنابة ولا يغسلون أيديهم من الطعام بل هم كالحمير الضالة»[٢].

ثم يتحدث عن تقاليدهم الاجتماعية فيقول: «ويجتمع في البيت الواحد العشرة والعشرون والأقل والأكثر ولكل واحد سرير يجلس عليه ومعهم الجواري الروقة للتجار فينكح الواحد جاريته ورفيقه ينظر إليه، وربما اجتمعت الجماعة منهم على هذه الحال بعضهم بحذاء بعض، وربما يدخل التاجر عليهم ليشتري من بعضهم جارية فيصادفه ينكحها فلا يزول عنها حتى يقضي أربه»[٣].

ولا بد لهم في كل يوم من غسل وجوههم ورؤوسهم بأقذر ماء يكون وأطفسه، وذلك أن الجارية توافي كل يوم بالغداة ومعها قصعة كبيرة فيها ماء فتدفعها إلى مولاها فيغسل فيها يديه ووجهه وشعر رأسه فيغسله ويسرحه بالمشط في القصعة ثم يمتخط ويبصق فيها ولا يدع شيئاً من القذر إلا فعله في ذلك الماء، فإذا فرغ مما يحتاج إليه حملت الجارية القصعة إلى الذي إلى جانبه ففعل مثل فعل صاحبه ولا تزال ترفعها من واحد إلى واحد حتى تديرها على جميع من في البيت..[٤].

وفي إشارة إلى معتقداتهم الباطلة قال: «وساعة توافي سفنهم إلى هذا المرسى يخرج كل واحد منهم ومعه خبز ولحم وبصل ولبن ونبيذ حتى يوافي

---

(١) المرجع السابق، ص١١٥.
(٢) المرجع السابق، ص١٥١.
(٣) المرجع السابق، ص١٥١.
(٤) رسالة ابن فضلان، ص١٥٥.

خشبة طويلة منصوبة لها وجه يشبه وجه الإنسان وحولها صور صغار، وخلف تلك الصور خشب طوال قد نصبت في الأرض فيوافي إلى الصورة الكبيرة ويسجد لها ثم يقول لها: يا رب قد جئت من بلد بعيد ومعي من الجواري كذا وكذا رأساً ومن السمور كذا وكذا جلداً حتى يذكر جميع ما قدم معه من تجارته ثم يقول: وجئتك بهذه الهدية ثم يترك الذي معه بين يدي الخشبة ويقول: أريد أن ترزقني تاجراً معه دنانير ودراهم كثيرة فيشتري مني كل ما أريد ولا يخالفني فيما أقول ثم ينصرف»[1]. ويصف كيف يفعلون بموتاهم بأن يقولوا لجواريه: من يموت معه فإذا قالت إحداهن: أنا وكلوا بها جاريتين تحفظانها وتكونان معها والجارية في كل يوم تشرب وتغني فرحة مستبشرة.

وبيَّن أنه لما كان اليوم الذي يحرق فيه هو والجارية حضرت إلى النهر الذي فيه سفينته.. ثم جاءت امرأة عجوز يقولون لها ملك الموت ففرشت على السرير الفرش التي وليت خياطته وإصلاحه.. فلما وافوا قبره.. واستخرجوه في الإزار الذي مات فيه.. وألبسوه سراويل وراناً وخفاً وقرطقاً وخفتان ديباج له أزرار ذهب وجعلوا على رأسه قلنسوة ديباج سمورية وحملوه حتى أدخلوه القبة التي على السفينة وأجلسوه على المضربة وأسندوه بالمساند وجاءوا بالنبيذ والفاكهة والريحان فجعلوه معه.. والجارية التي تريد أن تقتل ذاهبة وجائية تدخل قبةً قبةً من قبابهم فيجامعها صاحب القبة ويقول لها: قولي لمولاك إنما فعلت هذا من محبتكَ!.

ثم يقول: فلما كان وقت العصر من يوم الجمعة جاءوا بالجارية إلى شيء قد عملوه مثل ملبن الباب فوضعت رجليها على أكف الرجال وأشرفت على ذلك الملبن وتكلمت بكلام لها فأنزلوها ثم أصعدوها ثانية ففعلت كفعلها في المرة الأولى ثم أنزلوها وأصعدوها ثالثة ففعلت فعلها في المرتين ثم دفعوا إليها دجاجة فقطعت رأسها ورمت به وأخذوا الدجاجة فألقوها في السفينة.

(١) المرجع السابق، ص١٥٣.

فسألت الترجمان عن فعلها فقال: قالت في أول مرة أصعدوها: هو ذا أرى أبي وأمي، وقالت في الثانية: هو ذا أرى جميع قرابتي الموتى قعوداً، وقالت في المرة الثالثة: هو ذا أرى مولاي قاعداً في الجنة والجنة حسنة خضراء ومعه الرجال والغلمان وهو يدعوني فاذهبوا بي إليه.

فمروا بها نحو السفينة فنزعت سوارين كانا عليها ودفعتهما إلى المرأة التي تسمى ملك الموت وهي التي تقتلها ونزعت خلخالين كانا عليها ودفعتهما إلى الجاريتين اللتين كانتا تخدمانها وهما ابنتا المرأة المعروفة بملك الموت.

ثم أصعدوها إلى السفينة ولم يدخلوها إلى القبة وجاء الرجال ومعهم التراس والخشب ودفعوا إليها قدحاً نبيذاً فغنت عليه وشربته فقال لي الترجمان: إنها تودع صواحباتها بذلك ثم دفع إليها قدح آخر فأخذته وطولت الغناء والعجوز تستحثها على شربه والدخول إلى القبة التي فيها مولاها فرأيتها وقد تبلدت وأرادت دخول القبة فأدخلت رأسها بينها وبين السفينة فأخذت العجوز رأسها وأدخلتها القبة ودخلت معها.

وأخذ الرجال يضربون بالخشب على التراس لئلا يسمع صوت صياحها فيجزع غيرها من الجواري ولا يطلبن الموت مع مواليهن ثم دخل إلى القبة ستة رجال فجامعوا بأسرهم الجارية ثم أضجعوها إلى جانب مولاها وأمسك اثنان رجليها واثنان يديها وجعلت العجوز التي تسمى ملك الموت في عنقها حبلاً مخالفاً ودفعته إلى اثنين ليجذباه وأقبلت ومعها خنجر عريض النصل فأقبلت تدخله بين أضلاعها موضعاً موضعاً وتخرجه والرجلان يخنقانها بالحبل حتى ماتت.

ثم وافى أقرب الناس إلى ذلك الميت فأخذ خشبة وأشعلها بالنار ثم مشى القهقرى نحو قفاه إلى السفينة ووجهه إلى الناس والخشبة المشعلة في يده الواحدة ويده الأخرى على باب استه وهو عريان حتى أحرق الخشب المعبأ الذي تحت السفينة من بعدما وضعوا الجارية التي قتلوها في جنب مولاها[1].

---

(١) انظر: رسالة ابن فضلان ص١٥٥ ـ ١٦٤.

وفي حديثه عن (الخزر) بعد أن ذكر اسم ملكهم خاقان بين أن عادة ملوكهم مما له صلة بأسباب عداء الخزر للبلغار أن: «رسم ملك الخزر أن يكون له خمس وعشرون امرأة كل امرأة منهن ابنة ملك من الملوك الذين يحاذونه يأخذها طوعاً أو كرهاً، وله من الجواري السراري لفراشه ستون ما منهن إلا فائقة الجمال وكل واحدة من الحرائر والسراري في قصر مفرد لها قبة مغشاة بالساج وحول كل قبة مضرب ولكل واحدة منهم خادم يحجبها فإذا أراد أن يطأ بعضهن بعث إلى الخادم الذي يحجبها فيوافي بها في أسرع من لمح البصر حتى يجعلها في فراشه. ويقف الخادم على باب قبة الملك فإذا وطئها أخذ بيدها وانصرف ولم يتركها بعد ذلك لحظة واحدة»[١].

ويستعرض مدة الملك لكل ملك منهم وعقاب جيشهم حين ينهزم فيقول: «ومدة ملكهم أربعون سنة إذا جاوزها يوماً واحداً قتلته الرعية وخاصته وقالوا: هذا قد نقص عقله واضطرب رأيه. وإذا بعث سرية لم تول الدبر بوجهٍ ولا سبب فإن انهزمت قتل كل من ينصرف إليه منها، فأما القواد وخليفته فمتى انهزموا أحضرهم وأحضر نساءهم وأولادهم فوهبهم بحضرتهم لغيرهم وهم ينظرون وكذلك دوابهم ومتاعهم وسلاحهم ودورهم، وربما قطع كل واحد منهم قطعتين وصلبهم وربما علقهم بأعناقهم في الشجر وربما جعلهم إذا أحسن إليهم ساسة»[٢].

ويشير إلى وجود مسلمين تحت قيادة ملك الخزر فيقول: «ولملك الخزر مدينة عظيمة على النهر إتل، وهي جانبان في أحد الجانبين المسلمون وفي الجانب الآخر الملك وأصحابه، وعلى المسلمين رجل من غلمان الملك يقال له خز وهو مسلم وأحكام المسلمين المقيمين في بلد الخزر والمختلفين إليهم في التجارات مردودة إلى ذلك الغلام المسلم لا ينظر في أمورهم ولا يقضي بينهم غيره»[٣].

---

(١) رسالة ابن فضلان ص١٧١.
(٢) رسالة ابن فضلان ص١٧٢.
(٣) رسالة ابن فضلان ص١٧٢.

وبهذا يتضح أنه رصد في رحلته عادات المدعوين وأحوالهم في جوانب الحياة المتنوعة والتي تسهم في تعريف الدعاة إلى الله ببيئة المدعوين في ذلك الزمن وهي معلومات دقيقة ألقت الضوء على ما لدى تلك المجتمعات من أسرار وعادات وطباع واعتقادات.

المطلب الثالث

جوانب الدعوة المتعلقة بموضوعات الدعوة في الرحلة

يمكن أن تصنف موضوعات الدعوة عند ابن فضلان في رحلته إلى موضوعات في العقيدة وموضوعات في الشريعة وموضوعات في السلوك وبيان ذلك في الفروع التالية:

الفرع الأول

موضوعات العقيدة

برزت موضوعات العقيدة بوضوح في أثناء الرحلة بين خوارزم ومنطقة الترك في أواسط آسيا فقد كانت بيئة وثنية أفرزت نوعاً من الأسئلة التي ربما تواجه ابن فضلان لأول مرة، وذلك حينما سأله رجل عانى من شدة برودة الطقس بقوله: «قل لربك ما الذي يريده منا لكي يرفع عنا هذا البرد؟» فيجيبه ابن فضلان مستثمراً السؤال في دعوتهم للتوحيد بقوله: «**يريدكم أنْ تقولوا: لا إله إلا الله..**»[(١)] ويسأله آخر: «ألربنا امرأة؟»، فيستعظم ابن فضلان الأمر، ويستغفر الله ويعظّمه![(٢)].

ولما التقى إحدى قبائل الترك ورأى طقوسهم وصفهم بأنهم بلا عقيدة وأنهم ضلال إذ قال: «وهم مع ذلك كالحمير الضالة لا يدينون لله بدين ولا يرجعون إلى عقل ولا يعبدون شيئاً، بل يسمون كبراءهم أرباباً فإذا استشار أحدهم رئيسه في شيء قال له: يا رب إيش أعمل في كذا وكذا وأمرهم

(١) رسالة ابن فضلان ص٩٠.
(٢) المرجع السابق، ص٩٣.

شورى بينهم غير أنهم متى اتفقوا على شيء وعزموا عليه جاء أرذلهم وأخسهم فنقض ما قد أجمعوا عليه»[١].

واستناداً لأهمية موضوعات العقيدة لدى ابن فضلان وعمقها في دعوته فهو يبين أن طائفة منهم يقولون كلمة التوحيد لكنهم للأسف لا يعتقدون معناها ولا يعملون بمقتضاها كما هو اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة حيث قال: «وسمعتهم يقولون: لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله تقرباً بهذا القول إلى من يجتاز بهم من المسلمين **لا اعتقاداً لذلك**، وإذا ظلم أحد منهم أو جرى عليه أمر يكرهه رفع رأسه إلى السماء وقال: بير تنكري وهو بالتركية الله الواحد؛ لأن بير بالتركية واحد وتنكري: الله بلغة الترك»[٢].

وفي أثناء رحلته يلاقي أقواماً من «الباشغرد» يعبدون خشبة نحتت على هيئة معينة إذ قال: «**وكل واحد منهم ينحت خشبة على قدر الإحليل ويعلقها عليه فإذا أراد سفراً أو لقاء عدو قبلها وسجد لها وقال: يا رب افعل بي كذا وكذا**»[٣].

وبالتوغل نحو الشمال يلحظ ابن فضلان أقواماً تتعدد لديهم الآلهة، وصفهم بقوله: «**ورأينا أقواماً تعبد الحيات، وأقواماً يعبدون السمك، ومنهم من يزعم أن له اثني عشر رباً: للشتاء رب وللصيف رب وللمطر رب**.. والرب الذي في السماء أكبرهم، إلا أنه يجتمع مع هؤلاء باتفاق ويرضي كل واحد منهم.. ثم يعلق فيقول: تعالى الله عما يقول الظالمون علوّاً كبيراً»[٤].

ويمضي في وصف مظاهر الشرك عند أولئك القوم فقال: «ورأينا طائفة منهم تعبد الحيات وطائفة تعبد السمك وطائفة تعبد الكراكي، فعرفوني أنهم كانوا يحاربون قوماً من أعدائهم فهزموهم، وأن الكراكي صاحت وراءهم ففزعوا وانهزموا بعدما هزموا، فعبدوا الكراكي لذلك وقالوا: هذه ربنا وهذه

---

(١) المرجع السابق، ص٩١.
(٢) المرجع السابق، ص٩١.
(٣) المرجع السابق، ص١٠٨.
(٤) رسالة ابن فضلان ص١٠٩.

فعالاته هزم أعداءنا، فهم يعبدونها لذلك»[١].

ولم يكتف بعرض جوانب المخالفات العقدية لدى الأقوام وأسباب انحرافاتهم بل يتدخل حينما يكون الموقف من مسلم مدرك، حامياً بذلك جناب التوحيد لديه إذ يتضح هذا من قوله عن ملك البلغار المسلم حديثاً: وقد كان يخطب له على منبره قبل قدومي: اللهم وأصلح الملك يلطوار ملك بلغار فقلت أنا له: «**إن الله هو الملك ولا يسمى على المنبر بهذا الاسم غيره جل وعز** ثم ساق حديث النبي ﷺ: «**لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم فإنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله**» فقال لي: فكيف يجوز أن يخطب لي قلت: باسمك واسم أبيك قال: إن أبي كان كافراً ولا أحب أن أذكر اسمه على المنبر وأنا أيضاً فما أحب أن يذكر اسمي إذ كان الذي سماني به كافراً ولكن ما اسم مولاي أمير المؤمنين فقلت: جعفر، قال: فيجوز أن أتسمى باسمه؟. قلت: نعم، قال: قد جعلت اسمي جعفراً واسم أبي عبد الله فتقدم إلى الخطيب بذلك ففعلت فكان يخطب له: اللهم وأصلح عبدك جعفر بن عبد الله أمير بلغار مولى أمير المؤمنين»[٢].

ويعتنق عقيدة الإسلام على يديه بعض المدعوين أبان ذلك حينما قال: «ولقد أسلم على يدي رجل يقال له: طالوت. فأسميته عبد الله. فقال: أريد أن تسميني باسمك محمداً ففعلت، وأسلمت امرأته وأمه وأولاده فسموا كلهم محمداً..»[٣].

الفرع الثاني

موضوعات الشريعة

ومن جملة موضوعات الدعوة التي تطرّق لها ابن فضلان في الرحلة موضوعات تتعلق بالشريعة وهي مما تختص بالمسلمين. ولذا نراه ركز على هذا الجانب مع مسلمي بلاد البلغار ومما يبين ذلك ما يلي:

---

(١) المرجع السابق، ص١٠٩.
(٢) المرجع السابق، ص١١٨.
(٣) المرجع السابق، ص١٣٥.

الدعوة إلى إفراد الإقامة للصلاة وتعهد مواقيت الأذان:

وجد ابن فضلان في أول مَقْدَمه أن مؤذن ملك البلغار يثني الإقامة فبين الصواب في المسألة وقبل ملك البلغار ووجّه المؤذن بأن يقبل ما يقوله ولا يخالفه، وحيث إن الأذان هو الإعلام بوقت الصلاة التي تعد عمود الإسلام فكان ابن فضلان يراجع المؤذن بعد أذانه ويسأله عن وقت الفريضة إذا نابه شك في دخول وقتها ومما يبين ذلك أنه قال: ودخلت أنا وخياط ـ كان للملك من أهل بغداد قد وقع إلى تلك الناحية ـ قبتي لنتحدث فتحدثنا بمقدار ما يقرأ إنسان أقل من نصف سبع ونحن ننتظر أذان العتمة، فإذا بالأذان فخرجنا من القبة وقد طلع الفجر فقلت للمؤذن: أي شيء أذنت قال: أذان الفجر قلت: فالعشاء الآخرة قال: نصليها مع المغرب قلت: فالليل قال: كما ترى وقد كان أقصر من هذا إلا أنه قد أخذ في الطول، وذكر أنه منذ شهر ما نام خوفاً أن تفوته صلاة الغداة، وذلك أن الإنسان يجعل القدر على النار وقت المغرب ثم يصلي الغداة وما آن لها أن تنضج[١].

الدعوة إلى إقامة الصلاة بالصفة الصحيحة:

قال في هذا الجانب: «ورأينا فيهم ـ يعني البلغاريين ـ أهل بيت يكونون خمسة الآف نفس من امرأة ورجل قد أسلموا كلهم يعرفون بالبرنجار. وقد بنوا لهم مسجداً من خشب يصلون فيه ولا يعرفون القراءة فعلمت جماعة ما يصلون به»[٢].

قيامه بتعليم من أسلم على يديه سوراً من القرآن الكريم:

قال عمن دعاه إلى الإسلام وأسلم هو وعائلته: «وعلّمته الحمد لله وقل هو الله أحد فكان فرحه بهاتين السورتين أكثر من فرحه إن صار ملك الصقالبة»[٣].

---

(١) انظر: رسالة ابن فضلان ص١٥٥.
(٢) رسالة ابن فضلان ص١٣٥.
(٣) رسالة ابن فضلان ص١٣٥.

الدعوة إلى التوريث الشرعي:

قال: «ومن رسومهم أنه إذا ولد لابن الرجل مولود أخذه جده دون أبيه وقال: أنا أحق به من أبيه في حضنه حتى يصير رجلاً وإذا مات منهم الرجل ورثه أخوه دون ولده **فعرفّت الملك أن هذا غير جائز وعرفّته كيف المواريث حتى فهمها**»[١].

كما عرّج على مظهر من المظاهر الشائعة لدى إحدى القبائل التي مر بهم فقال: «**وأمر اللواط عندهم عظيم**»[٢]، ويصف رجالهم بأن من سيماهم نتف اللحى من جوانب بطريقة تجعل هيأتهم للناظر من بعيد تشبه التيوس[٣].

الفرع الثالث

موضوعات الأخلاق والسلوك

ومن الموضوعات التي قدمها ابن فضلان في رحلته ما يتصل بالأخلاق والسلوك فمنها:

دعوته ملك البلغار إلى التواضع لله:

قال ابن فضلان: كان يخطب له على منبره قبل قدومي: اللهم وأصلح الملك يلطوار ملك بلغار فقلت أنا له: إن الله هو الملك ولا يسمى على المنبر بهذا الاسم غيره جل وعز، وهذا مولاك أمير المؤمنين قد رضي لنفسه أن يقال على منابره في الشرق والغرب: اللهم أصلح عبدك وخليفتك جعفر الإمام المقتدر بالله أمير المؤمنين، وكذا من كان قبله من آبائه الخلفاء. وقد قال النبي ﷺ: «**لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم فإنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله**»[٤].

---

(١) رسالة ابن فضلان ص١٣٢.
(٢) رسالة ابن فضلان ص٩٦.
(٣) رسالة ابن فضلان ص١٠٠.
(٤) رسالة ابن فضلان ص١١٧.

دعوته أهل بلغار إلى عدم التسمي بالأسماء المكروهة:

قال في هذا الصدد: «ولقد أسلم على يدي رجل يقال له طالوت فأسميته عبد الله[١] فقال: أريد أن تسميني باسمك محمداً ففعلت وأسلمت امرأته وأمه وأولاده فسموا كلهم محمداً وعلمته الحمد لله و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فكان فرحه بهاتين السورتين أكثر من فرحه إن صار ملك الصقالبة»[٢].

(١) وهذا من فقهه رحمه الله إذ كره بعض السلف التسمي بأسماء الجبابرة واستحبوا تغيير الاسم إلى ما هو أحسن منه.

(٢) رسالة ابن فضلان ص١٣٥.

المطلب الرابع

جوانب الدعوة المتعلقة بوسائل الدعوة وأساليبها

إن موضوعات الدعوة في جوانب العقيدة والشريعة والأخلاق والسلوك السابقة كانت تقدم من خلال وسائل وأساليب مناسبة للحال، ولذا من المهم بيان أبرز تلك الوسائل والأساليب:

الفرع الأول

وسائل الدعوة في الرحلة

أولاً: تعريف الوسائل:

الوسائل لغة: مفردها وسيلة، وهي القربى والوُصلة، والوسيلة: ما يُتَقرَّبُ به إلى الغير والجمع الوُسل والوسائل[(١)].

وأما الوسيلة في المجال الدعوي فقد عُرِّفت بعدة تعريفات[(٢)] من أجمعها في رأيي أنها: الأداة المستخدمة في نقل المعاني والأفكار للناس عبر أداة تحمله، وهذه الأداة تختلف باختلاف الجمهور المستهدف، وطبيعة المادة

---

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور ١١/ ٧٢٤. مادة: (وسل).

(٢) ومنها: تعريف الدكتور محمد أبو الفتح البيانوني حيث عرف الوسائل بقوله: «ما يتوصل به الداعية إلى تطبيق مناهج الدعوة من أمور معنوية أو مادية». انظر: المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، ط. الرابعة، عام ١٤١٨هـ، الناشر: إدارة الشؤون الإسلامية، قطر، ص٤٩.

ومنها تعريف د. عبد الكريم زيدان حيث قال في تعريفها هي: «ما يستعين به الداعي على تبليغ الدعوة إلى الله على نحو نافع مثمر» انظر: أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان، ط. الثالثة، عام ١٤٠٩هـ، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت ص٤٤٧.

المعروضة والملابسات الزمانية والمكانية الأخرى[١].

ثانياً: الوسائل:

وفي ضوء التعريف السابق للوسيلة يمكن إبراز الوسائل التي كيفها ابن فضلان لتحمل مضامين دعوته إلى المدعوين أثناء الرحلة وهي كالآتي:

١ ـ الهدية:

الهدية لها تأثيرها وسحرها ومن خلال التأمل في مجريات رحلة ابن فضلان تبرز الهدية كوسيلة ظاهرة للدعوة فمن ذلك حينما تحدث عن ملك الترك الغزية حيث قال: «**وكنا قد أهدينا إليه هدية** من ثياب وزبيب وجوز وفلفل وجاورس..» ثم بين أنه قام بالدعوة بعد ذلك فقال: «فلما كان في الليل دخلت أنا والترجمان إليه وهو في قبته جالس ومعنا كتاب نذير الحرمي إليه يأمره فيه بالإسلام ويحضه عليه ووجه إليه خمسين ديناراً فيها عدة دنانير مسيبية وثلاثة مثاقيل مسك وجلود أديم وثياب مروية وقطعنا له منها قرطقين وخف أديم وثوب ديباج وخمسة أثواب حرير **فدفعنا إليه هديته ودفعنا إلى امرأته مقنعة وخاتماً**»[٢].

والأمر نفسه مع ملك البلغار حيث تبرز الهدية بقوله: «**ثم أخرجت الهدايا من الطيب والثياب واللؤلؤ له ولامرأته فلم أزل أعرض عليه وعليها شيئاً شيئاً حتى فرغنا من ذلك** ثم خلعت على امرأته بحضرة الناس وكانت جالسة إلى جنبه وهذه سنتهم وزيهم فلما خلعت عليها نثر النساء عليها الدراهم وانصرفنا»[٣] وقال: «**فسلّمت إليه الهدايا له ولامرأته ولأولاده وإخوته وقوّاده..**»[٤].

---

(١) انظر: ركائز الإعلام في دعوة إبراهيم عليه السلام، د. سيد محمد ساداتي، ط. الأولى، عام ١٤١٥هـ، الناشر: دار عالم الكتب، الرياض ص٤٣.

(٢) رسالة ابن فضلان ص١٠١.

(٣) رسالة ابن فضلان ص١١٥.

(٤) رسالة ابن فضلان ص٦٩.

٢ ـ الترجمة:

ومن وسائل الدعوة في الرحلة الترجمة ومتقرر أن توظيف الترجمة لخدمة الدعوة وسيلة مهمة للتواصل بين الداعي والدعي إذا كانا يتحدثان بلسانين مختلفين، ولقد كان من الواضح أن ابن فضلان لا يجيد لغة الأقوام في رحلته مما تطلب وجود هذه الوسيلة. قال الدهان رَحِمَهُ اللَّهُ: «لم يكن على علم بلغات الأقوام التي يمر بهم ولذلك كان أعوانه يقومون بالترجمة في كل ما يحتاج إلى سماعه أو بيانه»[(١)].

والترجمة كوسيلة كانت حاضرة باستمرار في الرحلة سواء مع الحكام أو عامة الناس قال عن ملك الترك الغزية: «**فلما كان في الليل دخلت أنا والترجمان إليه وهو في قبته جالس ومعنا كتاب نذير الحرمي إليه يأمره فيه بالإسلام ويحضه عليه..**»[(٢)] وفي موقف آخر قال: «**ولم يزل الترجمان يترجم لنا حرفاً حرفاً فلما استتممنا قراءته كبروا تكبيرة ارتجت لها الأرض**»[(٣)]، وموقف ثالث حول حدث الدفن الذي شاهده قال: «**فسألت الترجمان عن فعلها**»[(٤)] إلى غير ذلك مما يدل على استخدامه هذه الوسيلة في تقديم الدعوة أثناء الرحلة.

٣ ـ الكتب والرسائل:

ومن وسائل الدعوة أيضاً الكتب والرسائل ذات المضمون الدعوي سواء إعدادها أو الإسهام في إيصالها ونجد ابن فضلان يصرح أنه قام بإيصال رسالة ذات محتوى دعوي واضح إلى ملك الترك الغزية يتبين ذلك من قوله: «.. فلما كان في الليل دخلت أنا والترجمان إليه وهو في قبته جالس ومعنا **كتاب نذير الحرمي إليه يأمره فيه بالإسلام ويحضه عليه** ووجه إليه خمسين ديناراً فيها عدة دنانير مسيبية وثلاثة مثاقيل مسك وجلود أديم وثياب مروية وقطعنا له منها

---

(١) وهم: تكين التركي وبارس الصقلابي.
(٢) رسالة ابن فضلان ص١٠٢.
(٣) رسالة ابن فضلان ص٦٩.
(٤) رسالة ابن فضلان ص١٠٢.

قرطقين وخف أديم وثوب ديباج وخمسة أثواب حرير فدفعنا إليه هديته ودفعنا إلى امرأته مقنعة وخاتماً»[١].

٤ ـ بناء المساجد:

ومن الوسائل المهمة في الدعوة والتي تعد أحد المهام الموكلة بالرحلة؛ بناء المساجد في مملكة البلغار بناء على طلب ملكها. قال ابن فضلان: «لما وصل كتاب ألمش بن يلطوار ملك الصقالبة إلى أمير المؤمنين المقتدر يسأله فيه البعثة إليه ممن يفقهه في الدين ويعرفه شرائع الإسلام **ويبني له مسجداً** وينصب له منبراً ليقيم عليه الدعوة له في بلده وجميع مملكته.. فأجيب إلى ما سأل من ذلك»[٢].

وبناء المساجد ثماره كبيرة على المدعوين وتأثيره بالغ في حياتهم الدينية والاجتماعية ولذلك كان هو أول عمل قام به النبي ﷺ لما قدم المدينة[٣].

وقد أجمل شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله وظائف المسجد بقوله: «وكانت (أي المساجد) مواضع الأئمة ومجامع الملة، فإن النبي ﷺ أسس مسجده المبارك على التقوى ففيه الصلاة، والتلاوة، والذكر، والتعليم، والخطب، وفيه يجتمع المسلمون لما همهم من أمور دينهم ودنياهم»[٤].

وتشير الزيارات الميدانية المعاصرة لبلدة بلغار أن المسجد الذي بناه أحمد بن فضلان رحمه الله لا تزال حدوده معروفة وأنه يتسع للألف مصل، وأنه عندما جرى الاحتفال بمرور ألف سنة على اعتناق أهل المنطقة الدين

---

(١) رسالة ابن فضلان ص١٠٢.
(٢) رسالة ابن فضلان ص٦٨.
(٣) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، للإمام ابن قيم الجوزية، ط. الرابعة عشر، عام ١٤٠٧هـ، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ٣/ ٦٢.
(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب الشيخ عبد الرحمٰن بن قاسم وابنه، ط. الأولى، عام ١٤١٦هـ، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ٣٥/ ٣٩.

الإسلامي قبل مدة قريبة صلى فيه بالفعل نحو ألف مصل[١].

بل تشير بعض المصادر أنه قد تم بناء خمسة مساجد أخرى إلا أنها اندثرت ولم يبق منها سوى ما ذكر[٢].

الفرع الثاني

أساليب الدعوة في الرحلة

تعريف الأساليب:

الأساليب في اللغة: مفردها أسلوب، وهو: الطريق، والوجه، والمذهب، ويجمع أساليب، ويُراد به أيضاً: الفن، يقال: أخذ فلان في أساليب من القول: أي أفانين منه[٣].

وفي مجال الدعوة عُرِّف الأسلوب بعدة تعريفات، والتعريف المختار هنا هو: «الطريقة اللفظية المعيَّنة التي تغلب على أداء وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله بهدف تبليغ موضوعات الدعوة».

١ ـ أسلوب التعليم:

ظهر الأسلوب التعليمي في دعوة ابن فضلان في مواضع عدة ومواقف مختلفة مما يشير إلى أنه أسلوب مقصود، ومن الأمثلة التي تبين ذلك أنه قدم هذا الأسلوب في دعوة ملك البلغار قال: «ومن رسومهم أنه إذا ولد لابن الرجل مولود أخذه جده دون أبيه وقال: أنا أحق به من أبيه في حضنه حتى يصير رجلاً، وإذا مات منهم الرجل ورثه أخوه دون ولده **فعرفت الملك أن هذا غير جائز وعرفته كيف المواريث حتى فهمها**»[٤].

---

(١) انظر: بلاد التتار والبلغار، للعبودي، ط. الأولى، عام ١٤٠٣هـ، الناشر: رابطة العالم الإسلامي، جدة، ص١٥١.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص١٥١.

(٣) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ١/ ٤٧٣. مادة: (سَلب).

(٤) رسالة ابن فضلان ص١٣٢.

وقال عن عامة الناس في البلغار: «ورأينا فيهم أهل بيت يكونون خمسة الآف نفس من امرأة ورجل قد أسلموا كلهم يعرفون بالبرنجار وقد بنوا لهم مسجداً من خشب يصلون فيه ولا يعرفون القراءة **فعلّمت جماعة ما يصلّون به**»[١].

وقال: «ولقد أسلم على يدي رجل يقال له طالوت فأسميته عبد الله فقال: أريد أن تسميني باسمك محمداً ففعلت وأسلمت امرأته وأمه وأولاده فسموا كلهم محمداً و**علمته الحمد لله** و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فكان فرحه بهاتين السورتين أكثر من فرحه إن صار ملك الصقالبة»[٢].

٢ ـ أسلوب النصح المستمر:

كما أن من أساليبه في الدعوة النصح المتواصل في قضية معينة. قال عن البلغار رجالهم ونسائهم: «وينزل الرجال والنساء إلى النهر فيغتسلون جميعاً عراة لا يستتر بعضهم من بعض.. **وما زلت أجتهد أن يستتر النساء من الرجال في السباحة فما استوى لي ذلك**»[٣].

٣ ـ أسلوب التبسّط مع الملك في الحديث:

يوضح ذلك قوله عن ملك البلغار أثناء بقائه في بلادهم: «ونزلنا مع الملك منزلاً فدخلت أنا وأصحابي تكين وسوسن وبارس ومعنا رجل من أصحاب الملك بين الشجر، فرأينا عوداً صغيراً أخضر كرقة المغزل وأطول فيه عرق أخضر على رأس العرق ورقة عريضة مبسوطة على الأرض مفروش عليها مثل النابت فيها حب ولا يشك من يأكله أنه رمان أمليسي، فأكلنا منه فإذا به من اللذة أمر عظيم فما زلنا نتبعه ونأكله»[٤].

وفي موضع آخر يحكي عن نفسه ما يدل على تبسط مع ملك البلغار في الحديث: «قال: وسألته يوماً فقلت له: مملكتك واسعة وأموالك جمة

---

(١) المرجع السابق ص١٣٥.
(٢) المرجع السابق ص١٣٥.
(٣) المرجع السابق ص١٣٤.
(٤) المرجع السابق ص١٢٨.

وخراجك كثير فلم سألت السلطان أن يبني حصناً بمال من عنده لا مقدار له فقال: رأيت دولة الإسلام مقبلة وأموالهم يؤخذ من حلها فالتمست ذلك لهذه العلة، ولو أني أردت أن أبني حصناً من أموالي من فضة أو ذهب لما تعذر ذلك علي..»[١]، وفي سياق آخر: «وكان «تكين» حدثني أن في بلد الملك رجلاً عظيم الخلق جداً فلما صرت إلى البلد سألت الملك عنه..»[٢].

٤ ـ استثمار رغبة ملك البلغار في محاكاة الخليفة العباسي لتمرير مضامين الدعوة:

من البيّن أن ملك البلغار حريص على عمل كل ما يقربه من الخلافة العباسية ويجتهد في محاكاة ما يفعل في بلاد المسلمين وبالأخص الخليفة العباسي، وهذا الأمر قد لحظه ابن فضلان واستفاد منه في عرض بعض مضامين دعوته من خلال هذه الرغبة، كقصة الأذان، والدعاء من على المنبر التي سبق بيانها.

إن مجموع هذه الوسائل والأساليب أسهمت في نجاح دعوته بصفة عامة، وإذا ما نظرنا إلى طبيعة مرئيات ملك البلغار تحديداً وهو رئيس القوم وحاكمهم تجاه ابن فضلان نجد قربه أكثر ـ بعد خلاف يسير ـ[٣] وآثره على

---

(١) رسالة ابن فضلان ص١٤٦.
(٢) رسالة ابن فضلان ص١٣٦.
(٣) بسبب تأخر وصول أموال المساعدة. قال ابن فضلان: وهو يسألني عن المال ويناظرني فيه وأنا أويسه منه وأحتج فيه، فلما يئس منه تقدم إلى المؤذن أن يثني الإقامة ففعل وأراد بذلك أن يجعله طريقاً إلى مناظرتي فلما سمعت تثنيته للإقامة نهيته وصححت عليه فعرف الملك فأحضرني وأحضر أصحابي، فلما اجتمعنا قال الترجمان: قل له ـ يعنيني ـ: ما يقول في مؤذنين أفرد أحدهما وثنى الآخر ثم صلى كل واحد منهما بقوم أتجوز الصلاة أم لا، قلت: الصلاة جائزة، فقال: باختلاف أم بإجماع. قلت: بإجماع. قال: قل له: فما يقول في رجل دفع إلى قوم مالاً لأقوام ضعفى محاصرين مستعبدين فخانوه؟ فقلت: هذا لا يجوز وهؤلاء قوم سوء. قال: باختلاف أم بإجماع؟ قلت: بإجماع، فقال للترجمان: قل له: تعلم أن الخليفة أطال الله بقاءه لو بعث إلي جيشاً كان يقدر علي، قلت: لا، قال: فأمير خراسان، قلت: لا، قال: أليس لبعد المسافة وكثرة من بيننا من قبائل الكفار، قلت: بلى، =

غيره بل كان يدعوه فيما بعد بأبي بكر الصديق[١] أما أبو بكر فذلك لأنها كنيته على الصحيح[٢]، وأما الصدّيق فذلك لأجل صدقه وحسن دعوته إنها على أي حال مؤشر للمودة والألفة بين الداعية وملك البلغار.

= قال: قل له: فوالله إني لبمكاني البعيد الذي تراني فيه وإني لخائف من مولاي أمير المؤمنين وذلك أني أخاف أن يبلغه عني شيء يكرهه فيدعو علي فأهلك بمكاني وهو في مملكته وبيني وبينه البلدان الشاسعة وأنتم تأكلون خبزه وتلبسون ثيابه وترونه في كل وقت خنتموه في مقدار رسالة بعثكم بها إلى قوم ضعفى وخنتم المسلمين، لا أقبل منكم أمر ديني حتى يجيئني من ينصح لي فيما يقول، فإذا جاءني إنسان بهذه الصورة قبلت منه. فألجمنا وما أحرنا جواباً وانصرفنا من عنده. انظر: رسالة ابن فضلان ص١٢٠.

وسبب تأخر وصول المال كان مؤامرة دارت رحاها على ابن فضلان، حيث إن الخليفة أمر بإرسال أموال إلى ملك البلغار من قيمة أرض تمت مصادرتها من ابن الفرات الذي تم خلعه من منصبه وتعيين الخوارزمي مكانه، وكان الخوارزمي قد خرج من بغداد بعد الوفد بخمسة أيام لتسلم المنصب الجديد خلفاً لابن الفرات، ولكن أحد النصارى يدعى أبو الفضل النصراني وكان وكيلاً للوزير ابن الفرات المخلوع قد أعمل الحيل للحيلولة دون وصول المال. يقول ابن فضلان حول ذلك: واتصل الخبر بالفضل بن موسى النصراني وكيل ابن الفرات فأعمل الحيلة في أمر أحمد بن موسى (الخوارزمي) وكتب إلى عمال المعاون بطريق خراسان من جند سرخس إلى بيكند: أن أذكوا العيون على أحمد بن موسى الخوارزمي في الخانات والمراصد وهو رجل من صفته ونعته، فمن ظفر به فليعتقله إلى أن يرد عليه كتابنا بالمسألة، فأخذ بمرو واعتقل. وأقمنا نحن ببخارى ثمانية وعشرين يوماً وقد كان الفضل بن موسى أيضاً واطأ عبد الله بن باشتو وغيره من أصحابنا يقولون: «إن أقمنا هجم الشتاء وفاتنا الدخول وأحمد بن موسى إذا وافانا لحق بنا». انظر: رحلة ابن فضلان، د. أحمد شوقي مجلة شمس الإسلام لندن عدد ذي القعدة، عام ١٤١٣هـ، فكان هذا سبب تأخر وصول أموال المساعدة.

(١) رسالة ابن فضلان ص١٢٢.

(٢) وهو ما ثبت لدي من خلال سلسة الرواة التي تضمنت ابن فضلان وهو ما يكشف سر هذه الكنية التي كناه بها ملك البلغار.

المبحث الثالث

الآثار الدعوية للرحلة وعوامل نجاحها وانعكاساتها في العصر الحاضر

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الآثار الدعوية للرحلة.

المطلب الثاني: عوامل نجاح الدعوة في الرحلة.

المطلب الثالث: انعكاسات الرحلة في العصر الحاضر.

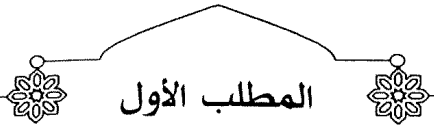

الآثار الدعوية للرحلة

من الواضح أن رحلة ابن فضلان كانت ذات تأثير في جوانب الدعوة والمدعوين والدولة، وبسط الحديث حول ذلك سيكون من الأفرع الثلاثة الآتية:

الفرع الأول

الآثار المتعلقة بالدعوة

إلقاء الضوء على أبرز الآثار التي لها صلة بالدعوة يكون بالآتي:

أولاً: وصول الدعوة إلى بلاد نائية:

من أبرز آثار رحلة ابن فضلان فيما يتصل بالدعوة هو بلوغها إلى تلك الآفاق ممثلة في شخصية ابن فضلان الدعوية والسياسية وما انطوت عليه مهمته من مضامين الدعوة التي وجهها إلى كافة المدعوين من خلال الوسائل والأساليب المناسبة في وقت كان يتعذر على الدعاة بلوغ هذا المبلغ لما قدمناه من المشاق والعقبات المتنوعة التي تحول دون ذلك.

وبلوغ الدعوة إلى بلاد البلغار إحدى أهم مكاسب الدعوة التي لا يزال المسلمون يتفيؤون ظلالها إلى اليوم حيث سيتضح أن تلك البذرة أصبحت فيما بعد شجرة باسقة وارفة الظلال اليوم.

ثانياً: مدّ علم الدعوة بمعرفة صفات وأحوال مدعوين جدد:

يمكن القول بأن ابن فضلان لما اعتنى عناية فائقة بذكر أحوال المدعوين من الشعوب والأمم التي اجتازهم مع توسعه في ذكر مللهم وعاداتهم

وتقاليدهم في مدونته قد خدم الدعاة من بعده وسهل مهمتهم في الدعوة إلى الله تعالى، وقد تم استعراض ما يؤكد هذا الجانب فيما سبق.

ثالثاً: إيجاد منطلق جديد للدعوة الإسلامية في بلاد الشمال:

لقد أصبحت مملكة البلغار من بعدُ منطلقاً جديداً لدعوة شعوب تلك المناطق إلى الإسلام وبالتحديد أوروبا الشرقية، تذكر بعض الروايات أن البلغار كانوا يقومون بغزوات متتابعة لعدد من المدن الروسية.

قال صاحب كتاب العباسيون والبلغار: «ومن المرجّح أن هذه الغزوات تهدف لنشر الإسلام، وأنها جرت عقب قيام العلاقات بين الدولة البلغارية والخلافة العباسية، وعقب تحول البلغار إلى شعب مسلم»[(١)].

وتشير المصادر التاريخية الروسية إلى أنه في عام ٩٨٨م وردت إلى إمارة (كييف) الروسية، سفارة من مملكة البُلغار الإسلامية، قام الوفد خلالها بعرض الإسلام على الروس الوثنيين قبل اعتناق النصرانية وتؤكد بعض الروايات بأن أصول الديانة الإسلامية راقت للأمير (فلاديمير) ملك الروس في مطلع الربع الأخير من القرن الرابع الهجري، وأنه كاد أن يعتنق الإسلام لولا موضوع واحد وهو تحريم الخمر، وأن الأمير استدعى زعيم اليهود في كييف واستفسر منه عن ديانتهم وسأله عن مكان تواجد دولة اليهود، فأجابه بأنه: كانت لهم دولة في أورشليم ولكن الرب غضب عليهم وحطم دولتهم، فقال له فلاديمير: وأنتم تريدون بأن تحل علينا اللعنة الربانية، وعند ذلك قرّر فلاديمير اعتناق الديانة المسيحية التي تحلل الخمر، وجعلها الديانة الرسمية للدولة الروسية[(٢)].

---

(١) العباسيون والبلغار وانتشار الإسلام في أوروبا الشرقية، د. محمد الراجحي ص١٠٢.

(٢) انظر: الإسلام والمسيحية في التاريخ الروسي المبكر، د. عمر محمود شعار نقلاً عن تاريخ روسيا إصدار معهد تاريخ روسيا التابع لأكاديمية العلوم الروسية بإشراف الأكاديمي ساخروف، موسكو ٢٠٠٠م، ومجلة المؤرخ العربي العدد الخامس، عام ١٣٧٩هـ، ص٢٣٨، والعباسيون والبلغار وانتشار الإسلام في أوروبا الشرقية، د. محمد الراجحي، ص١٠٤.

كما أسهم البلغار في نشر الإسلام والدعوة إليه في الأنحاء المجاورة لبلادهم وحققوا نجاحاً في هذا المضمار. فقد أورد ياقوت الحموي في «معجمه» ما يدل على ذلك إذ قال:

فإني وجدت بمدينة حلب طائفة كثيرة يقال لهم: الباشغردية، شقر الشعور والوجوه جداً يتفقهون على مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه، فسألت رجلاً منهم استعقلته عن بلادهم وحالهم فقال: أما بلادنا فمن وراء القسطنطينية في مملكة أمة من الأفرنج يقال لهم الهُنْكَر، ونحن مسلمون رعية لملكهم في طرف بلاده نحو ثلاثين قرية كل واحدة تكاد أن تكون بليدة إلا أن ملك الهنكر لا يمكننا أن نعمل على شيء منها سوراً خوفاً من أن نُعصى عليه ونحن في وسط بلاد النصرانية فشمالينا بلاد الصقالبة وقبلينا بلاد البابا - يعني رومية - قال: وفي غربينا الأندلس وفي شرقينا بلاد الروم قسطنطينية وأعمالها، قال: ولساننا لسان الأفرنج وزينا زيهم ونخدم معهم في الجندية ونغزو معهم كل طائفة لأنهم لا يقاتلون إلا مخالفي الإسلام، فسألته عن سبب إسلامهم مع كونهم في وسط بلاد الكفر فقال: **سمعت جماعة من أسلافنا يتحدثون أنه قدم إلى بلادنا منذ دهر طويل سبعة نفر من المسلمين من بلاد بلغار، وسكنوا بيننا وتلطفوا في تعريفنا ما نحن عليه من الضلال وأرشدونا إلى الصواب من دين الإسلام، فهدانا الله والحمد لله فأسلمنا جميعاً وشرح الله صدورنا للإيمان، ونحن نقدم إلى هذه البلاد ونتفقه فإذا رجعنا إلى بلادنا أكرمنا أهلها وولونا أمور دينهم**[1].

وهذه الجهود مع غيرها تشير إلى مدى اتساع نشاط البلغار في ميدان دعوة الشعوب المقاربة لهم مكاناً وعرقاً ولغة إلى الدين الإسلامي.

---

(١) انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ط. الأولى عام ١٤١٩هـ، الناشر: بدون ١/ ٣٢٣. قال الدكتور الراجحي: «يفهم من رواية ياقوت أن أولئك الباشغرد كانوا عبارة عن أقلية مسلمة تعيش بين الهنكر، أما بلادهم الأصلية فهي بعيدة عن بلد هؤلاء الأخيرين وهي تقع على مقربة من بلاد البلغار في الطريق إليها من خوارزم وقد مر بها الرحالة ابن فضلان خلال رحلتهم». انظر: العباسيون والبلغار وانتشار الإسلام في أوروبا الشرقية، ص١٠٤. وانظر: رسالة ابن فضلان وحديثه عن الباشغرد ص١٠٧.

الفرع الثاني

الآثار المتعلقة بالمدعوين

يمكن إلقاء الضوء على أبرز الآثار التي لها صلة بالمدعوين من خلال ما يلي:

أولاً: انتشار الإسلام بين المدعوين وتعليمهم شعائره:

سبق أن مرّ بنا أن ابن فضلان رَحِمَهُ اللَّهُ قدم الدعوة للمدعوين في مواقف متعددة كان من بينها مواقف نتج عنها إسلام عدد من المدعوين أو تصحيح سلوكهم أو إجابة لأسئلتهم، ومن ما حكاه أن واحداً اسمه طالوت من الصقالبة أسلم على يديه وأسلمت زوجته وأمه وأولاده كلهم وأنه علمهم سوراً من القرآن فكانوا فرحين بذلك فرحاً عظيماً[١].

ومن ذلك أنه ساق الدعوة إلى قبيلة مكونة من خمسة آلاف نفس من امرأة ورجل قد أسلموا ولكونهم لا يعرفون القراءة في الصلاة علمهم ما يصلون به[٢] وكتعليم علم المواريث حينما شاهد ما خلّفه جهلهم بمسائله في وقائع عدد بعضها فقال: «فعرفّت الملك أن هذا غير جائز وعرّفته كيف المواريث حتى فهمها»[٣]، وتصحيحه صفة الإقامة للصلاة[٤] وتعليم الذي أسلم على يديه سورة الفاتحة وقل هو الله أحد[٥].

ثانياً: توثّق العلاقات بين مملكة البلغار المسلمة والخلافة العباسية:

مما يؤكد توثق تلك العلاقة أنه على إثر زيارة ابن فضلان قام ابن ملك البُلغار بزيارة إلى بغداد وحج إلى مكة المكرمة وذكر المسعودي في مروج الذهب أن ابن ملك البلغار حج عام ٣٢٠هـ ومرّ ببغداد وأكرمه الخليفة فيها[٦].

---

(١) رسالة ابن فضلان ص١٣٥.
(٢) رسالة ابن فضلان ص١٣٥.
(٣) رسالة ابن فضلان ص١٣٢.
(٤) رسالة ابن فضلان ص١٢٠.
(٥) رسالة ابن فضلان ص١٣٥.
(٦) مروج الذهب، المسعودي ١/ ١٨١.

ويشير إلى زيادة العلاقات كذلك أن البلغار قاموا خلال مدة وجيزة من الرحلة بضرب العملة النقدية ونقش عليها اسم كل من الخليفة العباسي والأمير البلغاري[١]، وفي المقابل أمر الخليفة المقتدر بالله بضرب العملة باسم خان البلغار[٢] وتعززت علاقات مملكة البُلغار مع الخلافة العباسية عبر الزمن وبشكل خاص العلاقات التجارية والثقافية، ولقد ظلّت هذه العلاقات قائمة بين الجانبين إلى وقت انهيار مملكة البلغار وتلاشي وجودها السياسي[٣].

ثالثاً: إذكاء روح الجسد الواحد بحماية المدعوين البلغار من اعتداء اليهود الخزر:

إن من آثار الرحلة المتعلقة بالمدعوين حمايتهم من الخزر اليهود الذين كانوا قد طغوا على شعوب تلك البلاد وهددوا كيانها وفرضوا رسوماً وضرائب تدفع للخزر.

ويوضح ياقوت الحموي سبب خوف ملك البلغار من الملوك المخالفين له فيقول: «وكان ملوك الخزر من أصل يشبه البلغار، وكانت مملكتهم عند مصب نهر الفولغا، لكنهم من أتباع الديانة اليهودية وكانوا يعدون ملوك البلغار تبعاً لهم»[٤].

قال ابن فضلان في رسالته: «وعلى ملك الصقالبة ضريبة يؤديها إلى ملك الخزر من كل بيت في مملكته جلد سمور، وإذا قدمت السفينة من بلد الخزر إلى بلد الصقالبة ركب الملك فأحصى ما فيها وأخذ من جميع العشر، وإذا قدم الروس أو غيرهم من سائر الأجناس برقيق فللملك أن يختار من كل

---

(١) انظر: دائرة المعارف الإسلامية، باتولد. مادة: (بلغار) ص٩٢.

(٢) وذلك إلى القرن السابع الهجري حسب ما رجحه بعض المؤرخين انظر: العباسيون والبلغار وانتشار الإسلام في أوروبا الشرقية ص١٤٠.

(٣) ذكره المؤرخ التركي كوارت نقلاً عن كتاب العباسيون والبلغار وانتشار الإسلام في أوروبا الشرقية، ص١٤٠.

(٤) انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي. مادة: (بلغار).

عشرة أرؤس رأساً». ثم أوضح بأن ابن ملك الصقالبة رهينة عند ملك الخزر فقال: «وابن ملك الصقالبة رهينة عند ملك الخزر. وقد كان اتصل بملك الخزر عن ابنة ملك الصقالبة جمال فوجه يخطبها فاحتج عليه ورده فبعث وأخذها غصباً ـ وهو يهودي وهي مسلمة ـ فماتت عنده فوجه يطلب بنتاً له أخرى فساعة اتصل ذلك بملك الصقالبة بادر فزوجها لملك إسكل وهو من تحت يده خيفة أن يغتصبه إياها كما فعل بأختها، وإنما دعا ملك الصقالبة أن يكاتب السلطان ويسأله أن يبني له حصناً خوفاً من ملك الخزر».

لذا فقد هب العرب من بغداد حاضرة المسلمين لنجدة قوم البلغار فأرسلوا لهم المال ووعدوهم بالسلاح وتحصين الحدود انطلاقاً من قول النبي ﷺ: «**ترى المؤمنين في تراحمهم، وتوادهم، وتعاطفهم، كمثل الجسد، إذا اشتكى عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»[١] ويصور ابن فضلان لنا مدى السرور الذي غمر ملك البلغار أثناء وصول النجدة الممثلة بالوفد بقوله: «.. فلما صرنا منه على فرسخين تلقانا هو بنفسه، **فلما رآنا نزل فخرَّ ساجداً شكراً لله جل وعز وكان في كمه دراهم فنثرها علينا ونصب لنا قباباً فنزلناها**».

ومما يعبر عن تلك الفرحة أيضاً ما ساقه بعد أن أتم قراءة الكتاب فقال: «فلما استتممنا قراءته كبروا تكبيرة ارتجّت لها الأرض»[٢] وكان شعور ملك البلغار متواصلاً ففي أثناء طعام العشاء نقل لنا ابن فضلان ما يدل عليه بقوله: «.. فلما أكلنا دعا بشراب العسل وهم يسمونه السجو ليومه وليلته فشرب قدحاً ثم قام قائماً فقال: **هذا سروري بمولاي أمير المؤمنين أطال الله بقاءه** وقام الملوك الأربعة وأولاده لقيامه وقمنا نحن أيضاً، حتى إذا فعل ذلك ثلاث مرات ثم انصرفنا من عنده»[٣].

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، حديث رقم (٤٨٨٨).
(٢) رسالة ابن فضلان ص١١٤.
(٣) رسالة ابن فضلان ص١١٧.

الفرع الثالث

الآثار المتعلقة بالدولة المسلمة

يمكن تركيز الحديث في هذا الجانب من خلال ملمح:

الإسهام في النهضة الحضارية لمملكة البلغار:

لقد أسهمت الرحلة في تقوية المملكة البُلغارية وتعزيز مكانتها في منطقة شرق أوروبا بصفة غير مباشرة نتيجة لحبل الوصل الذي مدته الرحلة بين مملكة البلغار والخلافة العباسية، فعلى رغم حالة الوهن السياسي التي كانت تعاني منها الخلافة العباسية في تلك المرحلة، إلا أنه يوجد إجماع بين المؤرخين بأن القرنين الرابع والخامس الهجريين يعتبران تاريخياً مرحلة العصر الذهبي للحضارة العربية الإسلامية والتي كانت تعتبر في تلك المرحلة أرقى حضارة إنسانية في القرون الوسطى.

ففي تلك المرحلة كانت المدن الإسلامية في آسيا الوسطى بخارى وطشقند وسمرقند وخوارزم وغيرها مراكز إشعاع حضارية عالمية، وقد انعكست مؤثراتها الحضارية فيما بعد على مملكة البُلغار الإسلامية نتيجة للتواصل الحضاري بين الجانبين ومن ملامح ذلك:

١ ـ إعادة تنظيم البنية السياسية للدولة البُلغارية وفق الأنظمة التي كانت سائدة في الخلافة العباسية.

٢ ـ انتقلت للدولة البلغارية المنجزات الثقافية التي كانت في الخلافة العباسية.

٣ ـ ازدهرت الحياة التجارية والزراعية والحرفية والثقافية في مدينة بُلغار العاصمة.

٤ ـ حولت مدن الدولة البُلغارية إلى مدن إسلامية، حيث شيد فيها العديد من الجوامع وعشرات المساجد. وأكد مؤرخ روسي أنه: «هنا منذ القدم

كان يعيش شعب البُلغار التجاري والصناعي، وقبل أن يبدأ الروسي السلافي بتشييد الكنائس المسيحية على ضفاف نهر أوكا، وقبل أن يتوسع إلى هذه المناطق. . . كان البُلغاري يستمع للقرآن على ضفاف نهري الفولغا وكاما»[١].

٥ ـ أصبحت دولة البُلغار في القرن الرابع الهجري مركزاً للاتصال مع الشرق، حيث استطاعت أن توفر الأمن الكامل للقوافل التجارية المتوجهة نحو الشرق الآسيوي، وتؤكد المصادر التاريخية والتنقيبات الأثرية على أن مملكة بُلغار الإسلامية كانت في القرن الرابع الهجري مركزاً حضارياً إسلامياً متقدماً في منطقة شرق أوروبا. .[٢].

لقد استمرت مملكة البُلغار في الوجود حتى منتصف القرن السابع الهجري، عندما تقوضت على أيدي التتار والمغول ودخولها في عداد الدولة الذهبية والإمارات الروسية[٣].

تلك هي أبرز الآثار للرحلة في المجال الدعوي.

(١) يدعى (سولوفيوف سيرغيي ميخائيلوفيتش) انظر: الإسلام والمسيحية في التاريخ الروسي المبكر، د. عمر محمود شعار.

(٢) انظر: رسالة ابن فضلان.

(٣) حافظت بلاد البلغار على علاقاتها التجارية النشطة بالبلاد الإسلامية المجاورة لها في الجنوب لمدة ثلاثمائة عام، وقد فوجئ المسلمون وغيرهم من القاطنين في شرق أوروبا بالمغول من أقاصي آسيا في (القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي)، وغلبوهم في أكثر من موقعة، واستولوا على أراضي البلغار والصقالبة حتى وصلوا إلى حدود أوروبا الغربية. انظر: الإسلام والمسيحية في التاريخ الروسي المبكر، د. عمر محمود شعار.

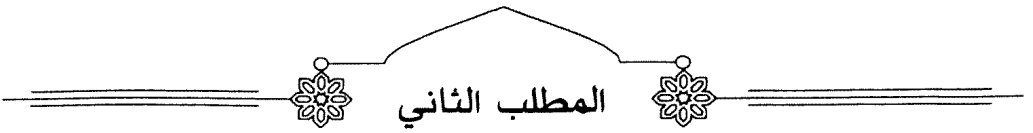

عوامل نجاح رحلة ابن فضلان الدعوية

إن مهمة ابن فضلان المتعلقة بالدعوة إلى الله في بلاد البلغار حققت نتائج طيبة وصفها الدكتور الدهان محقق الرسالة رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله: «الرجل قام بمهمته في الدعوة للدين والتبشير به خير قيام، فقد وفق لهذا»[(١)].

وقال: «الرجل نجح في مهمته ورسالته، وكان حقّاً عند حسن ظن المسؤولين به عندما اختاروه لهذه الوفادة الشاقة فلا شك في أنهم كانوا ينظرون إلى أنه شخصية متميزة»[(٢)].

ولعل من أبرز أسباب نجاح الدعوة بعد توفيق الله تعالى للداعية ابن فضلان في رأيي ما يلي:

الفرع الأول

تميز الداعية

من الواضح أن ابن فضلان من خلال رسالته برز لنا بشخصيته الفذة، فهو يثبت لنا رُوآه وتصوراته وأحكامه الخاصة التي تجري في المجال الديني. ولهذا يمكن أن نقتبس منها بعض الملامح التي تبرز تميزه كداعية ومن ذلك:

---

(١) انظر: رسالة ابن فضلان مقدمة المحقق الدهان ص٢٧.

(٢) انظر: رسالة ابن فضلان مقدمة المحقق الدهان ص٤١. وأكد ذلك بعض دارسي الرحلة فقال د. الراجحي: «والحق أن الخلافة العباسية قد وفّقت في اختيار ابن فضلان للقيام بدور الداعية والمرشد الديني لملك البلغار وشعبه» العباسيون والبلغار وانتشار الإسلام في أوروبا الشرقية، ص٥٧.

١ ـ قوة إيمانه:

إن المدقق في رسالة ابن فضلان وأبعادها يلحظ أنه كثيراً ما يشير إلى أنه ظل متمسّكا بالدين طيلة الرحلة رغم ما كان يعرض له من المنكرات والإغراءات والمشاهد التي تؤجج نار الفتنة، كمنظر النساء العراة الذي لاح له في أكثر من موقف وعبر عنها بقوله: «**ولا يستتر نساؤهم من رجالهم ولا من غيرهم كذلك لا تستر المرأة شيئاً من بدنها عن أحد من الناس..**»[(١)]. ومنظر التي حكت فرجها حيث قال: «ولقد نزلنا يوماً على رجل منهم فجلسنا وامرأة الرجل معنا فبينا هي تحدثنا **إذ كشفت فرجها وحكته** ونحن ننظر إليها فسترنا وجوهنا وقلنا: أستغفر الله فضحك زوجها»[(٢)]. ومشهد **النساء اللائي كن يسبحن في النهر عاريات..**[(٣)].

فهو مع ذلك كله بقي مجتهداً أن يستتر النساء من الرجال.. وداعياً إلى ترك هذا المنكر، كل ذلك يشير إلى قوة إيمانه التي عصمته بعد الله من فتنة الشهوة والإغراء، وأي شيء أشد فتنة على المرء من النساء؟! لقد كانت أول فتنة بني إسرائيل في النساء، وقال ﷺ: «**مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ**»[(٤)]. من الواضح أنه صرف همته بعزم وإيمان إلى أداء مهمته الدعوية ورسالته الإنسانية.

قال الدهان رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان شديد الإيمان بالله، عظيم التمسك بدينه وأخلاقه وتقواه، لا يخون الأمانة ولو خانها رفاقه، ولا يفتر عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[(٥)].

---

(١) انظر: رسالة ابن فضلان ص٩٢.
(٢) انظر: رسالة ابن فضلان ص٩٢.
(٣) انظر: رسالة ابن فضلان ص١٣٤.
(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه حديث رقم (٤٨٠٨).
(٥) انظر: رسالة ابن فضلان مقدمة المحقق الدهان ص٢٦.

٢ ـ تكوينه العلمي:

ومن الأمور التي توضح الجانب العلمي لدى ابن فضلان أن بعثةً كهذه في ظروفها ومقاصدها كانتْ تستلزم فقيهاً لحل إشكالات المدعوين، والإجابة على تساؤلاتهم، وتوجيههم نحو الخير، وهو ما حدث فعلاً حينما كان يجيب على مسائل فقهية متنوعة ويتصدى لتعليم ملك البلغار علم المواريث مثلاً.

ومما يذكر في هذا السياق أن ابن فضلان له صلة واهتمام بعلم الإسناد والرواية. فقد ورد اسمه ضمن سلسلة رواة في مناظرة من المناظرات المهمة بعنوان: «مناظرة للإمام الحجة جعفر بن محمد الصادق مع الرافضي في التفضيل بين أبي بكر وعلي رضي الله عنهما»[(١)].

بل ورد في بعض الدراسات أنه عالم وأنه موسوعي وأنه جغرافي وأنه أديب إلى غير ذلك من الأوصاف التي تشير إلى علو كعبه في العلم والثقافة.

ومن يذكر في هذا الصدد أن لديه ثقافةً عامة من خلال مطالعتنا للظواهر الاجتماعية حين يصفها ويأخذ في تحليل أسبابها ودواعيها من وجهة نظر شرعية.

قال الدهان: «فهو فيما تعلمنا الرسالة يجهل اللغات الأجنبية، ولكنه على إلمام تام باللغة العربية وبالشريعة الإسلامية»[(٢)].

٣ ـ حكمته في الدعوة إلى الله:

كان ابن فضلان أثناء قيامه بالدعوة والاحتساب يرتكز على منهج يبدو لنا منه ـ بالنظر إليه كداعية في بلاد الغربة وديار غير المسلمين ـ تقديم الدعوة بأسلوب مناسب للموقف والحال، فهو حينما يرى مناسبة تبليغ الدعوة الصريحة من حيث الوقت وطبيعة المدعوين يبادر إلى ذلك، وإلا نجده يعدل

---

(١) تحقيق الشيخ علي الشبل وهي مطبوعة عام ١٤١٧هـ.

(٢) انظر: رسالة ابن فضلان مقدمة المحقق الدهان ص٢٤.

إلى الدعوة بالتلميح فيستغفر الله أمام المدعو تارة، وتارة يعرض بالسكوت أو بقراءة القرآن.

وقد يتطلب الأمر أحياناً مداراة لبعض الناس الذين لا تجدي معهم الدعوة، أو أن الخوض في موضوع معين خارج أولويات الدعوة، يشير إلى ذلك سكوته حينما قال الروسي للمترجم عن ابن فضلان أنكم في مراسم الجنازة: «أنتم يا معاشر العرب حمقى»! إذ يقول ابن فضلان متسائلاً: «لم ذلك؟ قال: إنكم تعمدون إلى أحب الناس إليكم وأكرمهم عليكم فتطرحونه في التراب وتأكله التراب والهوام والدود ونحن نحرقه بالنار في لحظة فيدخل الجنة من وقته وساعته»[(١)] ثم ضحك الروسي ضحكاً مفرطاً! فسألته عن ذلك فقال: «من محبة ربه له قد بعث الريح حتى تأخذه في ساعة، فما مضت على الحقيقة ساعة حتى صارت السفينة والحطب والجارية والمولى رماداً رمِدِداً»[(٢)].

فيلحظ القارئ أن ابن فضلان لم يعلق على حديث ذلك الأحمق لأن المسألة فرعية والخلاف مع الروس في أصل العقيدة خاصة أن الموقف والحال يقتضي عدم الدخول في حديث كهذا، في حين أنه يسوق الدعوة، وينكر المنكر ويأمر بالمعروف، ويرغّب بالإسلام في مواضع أخرى، كما سبق.

٤ ـ مراعاة أحوال المدعوين في الاحتساب عليهم:

يلحظ المتابع أن احتسابه على المنكرات يقوم على معرفة حال المخاطب فهناك الكافر غير المسلم والمسلم الجديد الذي يتعامل معه معاملة خاصة، فكان يعطي كلاً قدره حسب استطاعته ولذا نجده عندما يتعارض المشهد الدعوي مع مبادئه وقيمه الثقافية يكون رد فعله موسوماً بالاستنكار الذي يخفي الحرج، لأن الصورة المشاهدة تدخل في نطاق المحرم والممنوع

(١) انظر: رسالة ابن فضلان ص١٦٤.
(٢) انظر: رسالة ابن فضلان ص١٦٤.

داخل ثقافته، مثلاً يقول عن المرأة غير المسلمة: «ولقد نزلنا يوماً على رجل منهم فجلسنا، وامرأة الرجل معنا، فبينا هي تحدثنا إذ كشفت فرجها وحكّته، ونحن ننظر إليها فسترنا وجوهنا وقلنا: أستغفر الله»[١].

بينما مع المرأة البلغارية الأمر يختلف حيث يصاحب هذا الاحتساب العلني سعي حثيث للتغيير يتجلى ذلك في موقف ابن فضلان من ظاهرة ثقافية مألوفة لدى الصقالبة المسلمين وهي سباحة الرجال والنساء عراة في النهر بشكل مختلط، الأمر الذي لم يستسغه ابن فضلان، وحاول تغييره انطلاقاً من المهمة التي تحملها وهي الدعوة إلى الله وتعليمهم شعائر الإسلام، لكنه عجز عن تحقيق مراده، ويعترف بذلك العجز قائلاً: «**وما زلت أجتهد أن يستتر النساء من الرجال** في السباحة فما استوى لي ذلك»[٢].

ويمكن أن نفسر تباين ردود أفعال ابن فضلان تجاه الموقفين المتقاربين، بالمهمة التي كانت موكولة له وهي تعليم البلغار شعائر الإسلام، فلدى الأتراك والروس لم يكلف نفسه تغيير الصورة المشاهدة باعتبارهم غير مسلمين، أما لدى الصقالبة فحاول ما أمكنه لكن دون جدوى.

وحينما وصف حرق الروس أنفسهم ثم تحرق جاريته معه، وقبل حرقها يتناوب عليها كل أصدقائه وأهله عربوناً لمحبته وتفانيهم لصداقته يقول: «غضبت لمرأى ذلك وبأوضاع يأباها الإسلام والدين والذوق»[٣] وحيث إنهم كفار فإن إنكاره هذه المسائل لا يجدي لأنها فروع في حين لم يخفي استياءَهُ بل أبداه في الموقف انطلاقاً من قوله ﷺ: «.. **فإن لم تستطع فبقلبك**».

٥ ـ القدوة الحسنة:

يتضح من خلال الرحلة أن ابن فضلان كان قدوة حسنة في رحلته. فقد كانت توجه إليه الأسئلة التي تثار وكان دائم التسبيح والذكر وقراءة القرآن.

---

(١) انظر: رسالة ابن فضلان ص٩٢.
(٢) انظر: رسالة ابن فضلان ص١٣٤.
(٣) انظر: رسالة ابن فضلان ص١٦٣.

ولذا قال عن نفسه أثناء سير الرحلة: «وقال بعضهم وسمعني أقرأ قرآناً فاستحسن القرآن وأقبل يقول للترجمان قل له: لا تسكت»[١] وأطلق عليه ملك البلغار فيما بعد لقب أبي بكر الصديق[٢].

٦ ـ الحلم والرفق:

لم نجد في الرحلة أن ابن فضلان أنه كان فظاً أو غليظاً على أحد من المدعوين أو من رفقائه بل يتضح أنه متسم بالحلم والرفق حتى الأسئلة التي وجهت له وفيها شيء مما يستدعي الغضب كان يجيب ويوضح دون توبيخ السائل إذ كان السائل جاهلاً. ومن ذلك حين سأله أحدهم: ألربنا ﷻ امرأة؟ حيث كانت الإجابة السكوت عن الجواب ولرب سؤال جوابه السكوت كما قيل ويتضح ذلك حينما قال: «وقال لي هذا الرجل يوماً على لسان الترجمان: قل لهذا العربي: ألربنا ﷻ امرأة، فاستعظمت ذلك وسبحت الله واستغفرته فسبح واستغفر كما فعلت»[٣].

٧ ـ جلده وقوة تحمله:

ليس من هين الأمور ويسيرها أن يبلغ رجل في ذلك العصر ما بلغ إليه صاحبنا فالرحلة إلى بلاد البلغار مهلكة ومحفوفة بالمخاطر وشاقة كما اتضح سابقاً، ومن هنا فإن من عوامل نجاحه في الوصول إلى مقصده ومن ثم تقديم الدعوة يرجع بعد توفيق الله إلى أمر منطقي وهو قوة تحمله أعباء الرحلة وصبره وجلده، ومما يشير إلى ذلك العناء وتلك الأعباء من خلال ما كتبه قوله: «.. ثم دخلنا بخارا وصرنا إلى الجيهاني وهو كاتب أمير خراسان.. فتقدم بأخذ دار لنا وأقام لنا رجلاً يقضي حوائجنا ويزيح عِللِنا في كل ما نريد فأقمنا أياماً».

---

(١) انظر: رسالة ابن فضلان ص٩٣.
(٢) رسالة ابن فضلان ص١٢٢.
(٣) انظر: رسالة ابن فضلان ص٩٣.

وما حكاه عن حال الطقس قبل وصول بلاد خوارزم: «فكنا نسير بعض النهار ولا يستوي لنا سيره كله من البرد وشدته».

وقوله عندما تقدموا إلى منطقة أخرى: «وجَمُد نهر جيحون من أوله إلى آخره وكان سمك الجمد سبعة عشر شبراً وكانت الخيل والبغال والحمير والعجل تجتاز عليه كما تجتاز على الطرق وهو ثابت لا يتخلخل فأقام على ذلك ثلاثة أشهر»(١).

ويصور حالهم في شتاء تلك البلاد بقوله: «فرأينا بلداً ما ظننا إلا أن باباً من الزمهرير قد فتح علينا منه ولا يسقط فيه الثلج إلا ومعه ريح عاصف شديدة، وإذا أتحف الرجل من أهله صاحبه وأراد بره قال له: تعال إلي حتى نتحدث فإن عندي ناراً طيبة، هذا إذا بالغ في بره وصلته»(٢).

ثم يضيف: «ولقد بلغني أن رجلين ساقا اثني عشر جملاً ليحملا عليها حطباً من بعض الغياض فنسيا أن يأخذا معهما قداحة وحراقة وأنهما باتا بغير نار فأصبحا والجمال موتى لشدة البرد»(٣).

وقال: «ولقد كنت أخرج من الحمام فإذا دخلت إلى البيت نظرت في لحيتي وهي قطعة واحدة من الثلج..»(٤).

بل قال: «ولقد رأيت الأرض تنشق فيها أودية عِظام لشدة البرد وأن الشجرة العظيمة العادية لتنفلق بنصفين لذلك»(٥).

ولعل الصورة العامة لشدة المعاناة تزداد تكشفاً من خلال إبانته في الرسالة عن زمهرير الشتاء الذي واجههم حينما أوغلوا في البلاد شمالاً بأنه ليس إلا كصيف بالنسبة لوصفه السابق! إذ قال: «ثم أوغلنا في بلد الترك لا نلوي على شيء.. فسرنا فيها عشرة أيام ولقد لقينا من الضر والجهد والبرد

---

(١) انظر: رسالة ابن فضلان ص٨٣.
(٢) انظر: رسالة ابن فضلان ص٨٣.
(٣) انظر: رسالة ابن فضلان ص٨٤.
(٤) انظر: رسالة ابن فضلان ص٨٥.
(٥) انظر: رسالة ابن فضلان ص٨٦.

الشديد وتواصل الثلوج الذي كان برد خوارزم عنده مثل أيام الصيف ونسينا كل ما مر بنا وأشرفنا على تلف الأنفس»[١].

فهذه أبرز ما تبين لنا من عوامل نجاح رحلته الدعوية المتعلقة بشخصيته المميزة.

الفرع الثاني

مساندة الدولة لرحلة الدعوة

من المعلوم أن الدولة العباسية آنذاك لها أثر كبير في إنجاح مهمة الدعوة ـ إضافة للعوامل السابقة ـ من خلال المساندة والدعم الحسي والمعنوي الذي لقيه أفراد الرحلة. وكان عطاء الدولة له أثره في تقديم التسهيلات اللازمة للرحلة، فنجد كتاب الخليفة لبعض الولاة في الطريق ومحطات الوصول التي يتزود بها الوفد.

إضافة إلى المعونات والمساعدات إلى بلاد البلغار التي تمثل مطالب ملك البلغار وهي:

١ ـ بناء مسجد وينصب له منبراً.

٢ ـ بناء حصن يتحصن فيه من الملوك المخالفين له.

٣ ـ الإشراف على الفقهاء والمعلمين وإعانتهم.

٤ ـ إمدادهم بالأدوية.

قال ابن فضلان: «لما وصل كتاب ألمش بن يلطوار ملك الصقالبة إلى أمير المؤمنين المقتدر يسأله فيه البعثة إليه ممن يفقهه في الدين ويعرفه شرائع الإسلام ويبني له مسجداً وينصب له منبراً ليقيم عليه الدعوة له في بلده وجميع

---

(١) انظر: رسالة ابن فضلان ص٨٩.

مملكته ويسأله بناء حصن يتحصن فيه من الملوك المخالفين له فأجيب إلى ما سأل من ذلك»[١].

وقال: «فسلمت إليه الهدايا له ولامرأته ولأولاده وإخوته وقواده وأدوية كان كتب إلى نذير يطلبها»[٢].

(١) انظر: رسالة ابن فضلان ص٦٨.

(٢) رسالة ابن فضلان ص٦٩. لكن كما أوضحنا فيما سبق أن الأموال لم تصل.

المطلب الثالث

انعكاسات رحلة ابن فضلان رَحِمَهُ اللَّهُ في العصر الحاضر

إن هذه الرحلة موضوع الدراسة إذا انتشر خبرها ومجريات أحداثها ودافعها الحقيقي تنعكس على الحاضر في جوانب متنوعة ويمكن استجلاء تلك الانعكاسات في المجالين الثقافي والدعوي:

الفرع الأول

انعكاساتها في العصر الحاضر في المجال الثقافي

أولاً: تعريف الأجيال بفضل سلفهم من الدعاة والعلماء:

من المعلوم أن العمل الجليل الذي قدمه ابن فضلان رَحِمَهُ اللَّهُ هو ضمن منظومة ما عمله سلف هذه الأمة لأجل دينهم وبلادهم، ولعل الأجيال الحاضرة تستوعب تلك الجهود الرامية لعز الأمة ونشر حضارتها بين الأمم للنهوض بمثل ما نهض به سلفهم فيصنعون لمستقبلهم ما صنعه لهم سلفهم، فقد سطّر سلفنا صفحات البقاء والعبقرية في قائمة الأمم وخارطة العالم آنذاك[1] ولذا مثل هذه الأعمال تغذي همم الأجيال، وتحيي فيهم أمجاد أمتهم، وتكسبهم الاعتزاز بتاريخهم التليد يوم أن كنا أمة قيادة وريادة والله المستعان، والنظر للتاريخ ليس لتمجّد به، وإنما لأنه مكوِّن مهم لصناعة المستقبل.

---

(١) انظر: رسالة ابن فضلان مقدمة المحقق الدهان ص٥٩.

ثانياً: إبراز عناية المسلمين في وقت مبكر بالرحلات وتميزهم بدقة التوثيق:

يقف الباحثون في الشرق والغرب على حد سواء بإعجاب أمام هذه الرحلة التي هي مفخرة لأدب الرحلات والتوثيق حيث إنها تزوِّد التاريخ العالمي بشذراتٍ مهمَّة عن أنماط معيشة شعوب قلَّما سُجلت[١]. فهي تسدُّ ثغرةً تاريخيةً في هذا المجال وتُعتبر رائداً في الإشارة لتاريخ الروس علي وجهِ الخصوص[٢].

لقد كانت وقائعها وما تضمنته، من أهم كتب الرحلات عند العرب والغرب، إذ سلطت تلك الرسالة الضوء على الشعوب تلك المنطقة في الماضي البعيد، وأنارت في صفحات واسعة أساليب حياة الروس في أمانة ودقة نادرتين، لذلك فقد عنوا بترجمتها ونقلوا فصولاً عنها الى لغتهم. وقد ذكر المستشرق الألماني (فراهن) في تقديمه لابن فضلان في اللغة الألمانية: «إذا كان الغرب قد أغفل روسيا فإن العرب تحدثوا عنها».

ضمن هذا السياق تعد رسالة ابن فضلان من الوثائق التاريخية المكتوبة النادرة المتعلقة بتاريخ وحضارات الشعوب القاطنة في حوض نهر الفولغا (اتيل) البُلغار والصقالبة والأغوريين والفلنديين والروس التي لم يكن لدى أغلبها في تلك المرحلة لغة مكتوبة وكانت تعيش في ظلمات الجهل والوثنية والتخلف الاجتماعي[٣]. لذلك اعتبر الدارسون أن رسالة ابن فضلان هي وثيقة في علم الاجتماع فهي في وصفها الاجتماعي دراسة سياسية لممالك وطقوس منسية من التاريخ الرسمي لهذه الشعوب.. ومن هنا جاء الثناء من جانب

---

(١) حيث وجد فيها الباحثون الروس أقدم وصف لأسلافهم القاطنين في تلك الديار آنذاك كما سبق بيانه.

(٢) انظر: ابن فضلان.. مقدمة عن رحلته وملاحظات عن دارسيه، طمس الحدود بين المتخيل والواقعي، شاكر لعيبي جريدة (الزمان) العدد ١٣٩٧، تاريخ ٢٠٠٣م.

(٣) انظر: الإسلام والمسيحية في التاريخ الروسي المبكر، الدكتور عمر محمود شعار.

المستشرقين على وصف ابن فضلان لتلك الممالك وتحالفاتها، ويلحظ القارىء لرحلته أنه أعطى كل ذي حق حقه[١].

ثالثاً: الإسهام في إبطال محاولات الإعلام الغربي تشويه صورة رحلة ابن فضلان:

لقد أخذت رحلة ابن فضلان حظاً من العناية لدى بعض مثقفي الغرب وكان لذلك الأمر أثره في إشهار أمر الرحلة إعلامياً ضمن أسلوبي الرواية والسينما وأعني بالرواية رواية: أكلة الأموات التي كتبها الروائي الأمريكي ميكائيل كريشتون (Michael Crichton)[٢]، والتي تحولت فيما بعد إلى فيلم سينمائي سنة ١٩٩٩م تحت عنوان: (المحارب ١٣).

لقد أراد صاحب الرواية الإيحاء للقارئ بأن ابن فضلان لديه صفات مشينة وأخلاق سيئة، ومن ثم يتم إسقاط تلك الصورة التي تشكلت في ذهن القارئ عن مسلم عربي وعلى جنس العرب عموماً بأسلوب تاريخي، يعدّد فيها مصادره بطريقة غامضة توحي بأنه في صميم عمل توثيقي نزيه، إلا أنه في حقيقة الأمر قد امتزج السرد بخياله الواسع.. لكنه يشير بلفتات عنه بأسلوب إيجابي ـ نوعاً ما ـ ليمرر الحيلة الروائية على القراء. كما يضع في ثنايا نصه الكثير من الهوامش التي تشرح طقساً أو تقليداً إسلامياً، مما يمنح القراءة بعداً

---

(١) انظر في هذا المجال: رسالة ابن فضلان إسهام رائد ومبكر في العلوم الاجتماعية، د. عبد الله حسن العبادي، مجلة جامعة الإمام عدد ٩ محرم، عام ١٤١٤هـ.

(٢) الأمريكي (جون) ميكائيل كريشتون، روائي وسينمائي مولود سنة ١٩٤٢م. أنهى دراسته في جامعة هارفارد، ثم تنقل بين دراسة الأنثروبولوجي والبيولوجي، وكرّس نفسه في نهاية المطاف للكتابة. أصدر العديد من الدراسات الأدبية وكتب العديد من الأفلام السينمائية التي أخرج أو أنتج قسماً منها بنفسه. كما كتب العديد من الروايات الخيالية أو المستمدّة من مادةٍ تاريخيةٍ وكان بعضُها من الكتبِ الأكثرِ مبيعاً في أمريكا. انظر: ابن فضلان.. مقدمة عن رحلته وملاحظات عن دارسيه، طمس الحدود بين المتخيل والواقعي، شاكر لعيبي جريدة (الزمان) العدد ١٣٩٧، تاريخ ٢٠٠٣م.

جديداً يسعي عامداً إلى طمس الحدود بين المتخيَّل والواقعي[١].

لكن هذه الحيلة لم تفت على نقاده الأمريكيين الأكثر جدية الذين وصفوا العمل في الصحافة بأنه: (كتابة متخيلة لقصة مأخوذة من سفير عربي إلى بلاط الخليفة في بغداد). في حين أن الحيلة فاتت على البعض الآخر[٢].

يظهر ابن فضلان في الرواية واحداً من الأشخاص الرئيسيين، لكنه بطل يحمل كثيراً من الصفات الذميمة التي ما فتئ بعض مفكري الغرب يلصقها بالعرب كلما سنحت الفرص[٣].

---

(١) انظر: ابن فضلان.. مقدمة عن رحلته وملاحظات عن دارسيه، طمس الحدود بين المتخيل والواقعي.

(٢) ممن ترجموا أو استعرضوا رواية كريشتون الخيالية معتقدين أنهم يترجمون ويستعرضون وثيقة تاريخية.

(٣) فهو في الرواية جبان إلى أبعد الحدود، ولا يمتلك روح الفكاهة، مزجور على الدوام بسبب تدخلاته الفظّة بما لا يعنيه، مرتعد الفرائص (ولا يريد أن يكون بطلاً) ومتزمت في تدينه بادئ الأمر ثم متناقض مع معتقداته الدينية. مارس الزنى مع فتاة، غبي لا يعرف السباحة، مندهش من خضرة الغابات التي لا تعرفها صحراؤه.
بالمقابل يبدو رجال الشمال الفايكنغ، وعلي لسان الراوي ابن فضلان نفسه، أشداء، لا يخافون شيئاً، جسورين وشجعان إلى درجة يبدو معها أنه بينهم كفأر تافه مختبئ في جحره. ثمة سخرية متناهية وحطٌّ من شأن العرب.
وفي العرض السينمائي الذي تألف من الرواية المذكورة تبرز هذه المقاطع:
قلوبكم (أيها العرب) عبارة عن كيس كبير يطفح بالأسباب في السخرية من النزعة العقلانية عند العرب.
(أنتم العرب أغبياء أكثر ممَّا يمكن أن يُتصوَّر). (لا أريد أن أسمع أسئلة من أحمق) أي: من عربي. (إذا لم يكن مسحوراً فلربَّما أصبح عربياً إذ إنه يغسل ملابسه الداخلية وجسمه كل يوم) بالسخرية من نزعة النظافة المستمرة والطهارة عند المسلمين.
وقال للجارية: (لا يزال عربياً) بسبب تأوه ابن فضلان بعد غسل جروحه بالماء المالح علي يد فتاة شمالية.
ويجعله الروائي يمارس الزنى مع امرأة متابعاً في ذلك شبق الشماليين.
انظر: ابن فضلان.. مقدمة عن رحلته وملاحظات عن دارسيه (٢) ـ طمس الحدود بين المتخيل والواقعي.

إن هذا التشويه الغربي لصورة الداعية أحمد بن فضلان رَحِمَهُ اللَّهُ ورحلته التي قامت على أساس الدعوة لم يقتصر تأثيره على الشعوب الغربية بل امتد إلى عقول كثير من شباب المسلمين الذين شاهدوا الفيلم السينمائي المستوحى من الرواية المتخيلة في غالبها، وقد أنِسوا بعربي مسلم ينادى باسمه الصريح في فيلم عالمي مع غفلة كثير منهم إلى أنه قد رسمت في أذهانهم بمكر ودهاء صورة مشوهة تماماً عن رجل مسلم داعية، قدّم رسالة الإسلام في بلادٍ الوصول إليها مظنة لهلاك النفس، وتحقيق المراد أمنع من لهاة ليث، سائراً محتسباً طوال رحلته، معتصماً بعقيدته، متمسكاً بخلقه ودينه، يدافع عن جنابها قدر استطاعته، يغض طرفه عن الفتن التي تعرض له من صور نساء وعري فتّان وغير ذلك، ويستغفر الله من كل منكر يراه، مجتهداً في بذل العلم ونشر الهداية في بيئة مليئة بالمغريات ومحفوفة بالمخاطر كما تقدم.

ولهذا السبب أرى أن إبراز هذه الرحلة برونقها، وصفائها، ونبل مقصدها، ونجاحها في مهمتها؛ يسهم في إبطال هذا النوع من التشويه التاريخي المتعمد.

الفرع الثاني

انعكاساتها في العصر الحاضر في المجال الدعوي

أولاً: أنها ترسم ملامح أهداف الدعوة الإسلامية في تلك الأزمنة ومنها أنها للسلام وحماية المستضعفين:

تحدثت الدراسة هذه أن الخزر اليهود طغوا على شعب مملكة البلغار وهددوا كيانها وسبوا نساءها وأذلوهم في عقر دارهم وفرضوا رسوماً وضرائب تدفع للخزر، وحيث إن المسلمين قد قُصدوا من قبل البلغار لحمايتهم وإعانتهم، فقد قاموا بنجدتهم من خلال إرسال المال ووعدهم بالسلاح وتحصين الحدود وإمدادهم بما يملكون من وسائل الحضارة مما يساعدهم على العيش الكريم وحماية أعراضهم المهددة..

فكانت رحلة الدعوة التي وصفها ابن فضلان في رسالته وبيّن خلالها ما اجتازته من صعاب وعقبات وقيام بأعمال متنوعة؛ وثيقة تاريخية مبكرة تؤكد أن الدعوة في كل حقبها وأطوارها التاريخية تسعى لنشر دين الإسلام بين شعوب الأرض، وإشاعة السلام في الدنيا، وإزالة الظلم عن المظلومين.

ثانياً: أنها سبيل إلى تعميق الروابط ومد الجسور الدينية مع البلغار (تتارستان حديثاً[١]):

ومن انعكاسات الرحلة في مجال الدعوة أنها سبيل من السبل التي من خلالها يمكن تمتين الصلة وتعميق الرابطة ومد الجسور مع بلاد البلغار (تتارستان) باعتبار الصلة التاريخية والعلمية المتمثلة في رحلة ابن فضلان وما نجم عنها من علاقات امتدت عبر الزمن في جوانب متعددة.

ولذا فإن من جملة انعكاسات الرحلة في العصر الحاضر أنها سبيل لتوثيق ذلك التواصل وبعثٌ له، ومنطلق منطقي لتعميق الروابط بين البلغار (تتارستان) حديثاً وبلاد المسلمين، ومن خلال ذلك يمكن أن تتكامل الجهود لبعث الانتماء الإسلامي وترسيخه في قلوب الأجيال المسلمة اليوم في تتارستان، وإحياء وهج تلك العلاقة الموغلة في القدم على الجانبين الرسمي والشعبي، وتبذل جهود ملموسة في هذا الإطار من قبل المعنيين في بلاد البلغار وبلاد المسلمين لتقوية أواصر تلك العلاقة التاريخية[٢].

---

(١) إن جمهورية تتارستان تتمتع حالياً بحكم ذاتي، ويبلغ عدد سكانها قرابة ٣,٨ ملايين مواطن، بينهم حوالي ٨٠٪ مسلمون، وهي من الجمهوريات الغنية بالبترول.

(٢) فعلى سبيل المثال أعلنت جائزة الملك فيصل العالمية أسماء الفائزين بجائزة الملك فيصل العالمية لعام ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م في أفرع الجائزة وهي خدمة الإسلام والدراسات الإسلامية واللغة العربية والأدب والطب والعلوم.

وفاز بالجائزة في فرع (خدمة الإسلام) فخامة الرئيس (منتيمير شريبوفيتش شايميف) الروسي الجنسية رئيس جمهورية تتارستان. تقديراً لخدماته للإسلام والمسلمين، ومن ذلك جهوده في إحياء الثقافة الإسلامية في جمهورية تتارستان وفي تعريف مسلميها بمبادئ دينهم القيمة وجهوده في إعادة بناء المساجد التي دمرت في أزمان سابقة حتى =

ثالثاً: التأكيد على أهمية رحلات الدعوة إلى بلاد غير المسلمين في العصر الحاضر:

ومن انعكاسات رحلة ابن فضلان في مجال الدعوة على حاضرنا أنها تطبيق عملي وبرهان علمي على عمق أثر قيام الدعاة بالرحلة إلى مختلف البلاد للدعوة إلى الله، إن شواهد الكتاب والسُّنَّة ترغِّب الدعاة بتبليغ الإسلام وإشاعة نوره في آفاق الدنيا كما قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [فصلت: ٣٣]. وقال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤]

وقال النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: «**فَوَاللهِ لَأَنْ يُهْدَى بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ**»(١). وقد كان النبي ﷺ قدوة الدعاة يسير إلى من يريد دعوتهم، ويرسل دعاته إلى الأمصار والآفاق لتبليغ الدين ونشر الإسلام.

وهكذا فقد انتشر الإسلام بعد توفيق الله تعالى بالدعاة الصادقين المخلصين الذين حملوا معهم نور الله ووحيه إلى أقطار الأرض التي تطؤها أقدامهم استجابة للأمر بنشر الإسلام..

= تجاوز عددها ألف مسجد، أربعون منها في العاصمة قازان بينها جامع قول شريف الذي هو تحفة فنية، ولم يكن فيها زمن الحكم الشيوعي سوى أربعة مساجد. إضافة إلى تشييده مطابع للمصحف والكتب الإسلامية وتشييد كثير من المدارس والجمعيات الإسلامية في عهده وإنشاء الجامعة الإسلامية الروسية التي تدرس فيها المواد بالروسية والتترية والعربية. واتباعه سياسة حكيمة جعلت من تتارستان مثالاً للتعايش الاجتماعي السلمي ورمزا للتسامح كما جعلتها تحقق نهضة اقتصادية وعمرانية واضحة المعالم. انظر: جريدة الرياض اليومية، الأربعاء ٢٨ ذي الحجة ١٤٢٧هـ - ١٧ يناير ٢٠٠٧م، العدد ١٤٠٨٦.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب: الجهاد والسير، باب: دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام والنبوة.. ص٥٩٧، رقم الحديث: (٢٩٤٢). وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه، في كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ص١٠٦٠، رقم الحديث: (٢٤٠٦).

قال سماحة شيخنا عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى: «وقد انتشر الإسلام بالدعوة في هذه العصور في أماكن كثيرة، في إفريقيا شرقها وغربها، ووسطها، وفي أوروبا، وأمريكا، وفي اليابان، وفي كوريا، وغير ذلك من أنحاء آسيا، وكل هذا بسبب الدعوة إلى الله بعضها على أيدي التجار، وبعضها على أيدي من قام بالدعوة وسافر لأجلها وتخصص لها»[١].

ولعظم المسؤولية المناطة بالدعاة تحديداً في أهمية قيامهم برحلات للدعوة قال رحمه الله تعالى: أوصي جميع الدعاة بالتجول للدعوة إلى الله في البلدان المحتاجة إلى ذلك حسب الإمكان، وزيارة المراكز والأقليات الإسلامية في الخارج للدعوة والتوجيه، وتعليم المسلمين ما يجهلون من دينهم وتشجيعهم على التعاون فيما بينهم والتواصي بالحق والصبر عليه وتشجيع الطلبة الموجودين هناك على التمسك بدينهم والعناية بما ابتعثوا من أجله والحذر من أسباب الانحراف، مع وصيتهم بالعناية بالقرآن الكريم حفظاً وتلاوة وتدبراً، وعملاً بالسُّنَّة المطهرة حفظاً ومذاكرة وعملاً بمقتضاها.. وهؤلاء الدعاة يرجى لهم الأجر الكبير والخير العظيم وهم في الغالب لا خطر عليهم لما عندهم من العلم والتقوى والبصيرة، فإن خاف أحدهم على دينه الفتنة، فليس له السفر إلى بلاد المشركين حفاظاً على دينه وطلباً للسلامة من أسباب الفتنة والردة[٢].

(١) من أقوال سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، إعداد زياد السعدون، ط. الأولى، عام ١٤١٣هـ، الناشر: دار الوطن، الرياض، ص١٨.

(٢) انظر: المرجع السابق ص٩٧. ومجموع فتاوى ومقالات متنوعة، للشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، جمع وترتيب د. محمد الشويعر، ط. الرابعة، عام ١٤٢٣هـ، الناشر: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض ٤/ ١٩٥.
وللتوسع في معرفة دوافع السياحة التي قررتها الشريعة الإسلامية ومنها الدعوة إلى الله. ينظر: السياحة ومعالم الدعوة في المواقع السياحية دراسة شرعية تأصيلية، للباحث، ط. الأولى، عام ١٤٢٧هـ الناشر: مكتبة الرشد، الرياض.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الخاتمة

أحمد الله الذي يسر لي وأعانني على إكمال هذه الدراسة، وفيما يلي أبرز نتائجها وتوصياتها:

النتائج:

برز من خلال هذه الدراسة عدة نتائج من أهمها ما يلي:

- أنّ رحلة ابن فضلان رَحِمَهُ اللَّهُ تضمنت جانباً دعوياً مشرقاً يتصل بتاريخ الدعوة حيث كان منطلقها الأساس هو الدعوة إلى الله مما جعلها تتسم بطابع خاص وفريد ميّزها عن غيرها من الرحلات.
- ألقت الدراسة المزيد من الضوء على شخصية ابن فضلان وصفاته التي استوحتها الدراسة من مجريات أحداث الرحلة حيث كان من أبرز صفاته الشجاعة والإقدام، والاتزان وقوة الشخصية، والنباهة ودقة الملاحظة.
- تناولت دعوة ابن فضلان في الرحلة أصناف المدعوين الحكام وعامة الناس، واتسمت موضوعاتها بالشمول إذ تطرقت إلى جوانب العقيدة والشريعة والسلوك من خلال وسائل وأساليب مناسبة وهي أمور أشارت إليها الدراسة في مواضعها.
- أن دعوة ابن فضلان في رحلته حققت نتائج طيبة منها ما يتعلق بالدعوة نفسها ومنها ما يتعلق بالمدعوين من بلاد البلغار ومنها ما يتعلق بدولة البلغار آنذاك.
- أن من عوامل نجاح دعوة ابن فضلان في رحلته بعد توفيق الله تميّزه الدعوي من ناحية قوة إيمانه وتكوينه العلمي، وحكمته في الدعوة إلى الله،

ومراعاته أحوال المدعوين في الاحتساب عليهم، مع ترفقه وحلمه، وقوة تحمله أعباء الرحلة، إضافة إلى مساندة الدولة للرحلة.

- كانت الرحلة حافلة بمواقف دعوية وحسبية متنوعة لها أهميتها وأبعادها في التخصص.

- أن هذه الرحلة سبرت لنا عمق أثر رحلات الدعوة الناجحة على مدى قرون من الزمن، وهذا لعله يفتح للمختصين وطلاب الدراسات العليا آفاقاً جديدة للبحث في هذا الاتجاه.

- أشارت الدراسة إلى أنه في الآونة الأخيرة ظهرت جهود ترمي إلى تشويه رحلة ابن فضلان على مستوى السينما العالمية وكذا أسلوب الرواية الأدبية الأمريكية.

التوصيات:

في ضوء ما أسفرت عنه الدراسة فقد برزت عدة مقترحات وهي كما يلي:

- يقترح الباحث على المسؤولين في الوزارات المعنية بالشؤون الإسلامية والثقافية في بلاد العالم الإسلامي مد جسور التواصل مع الجمهوريات المسلمة التي تتكون منها روسيا الاتحادية، والعمل المنظم الذي يقرب تلك البلاد من العالم الإسلامي على المستوى الشعبي والحكومي.

- يقترح الباحث على المنظمات الإنسانية والمؤسسات الخيرية توجيه اهتمامها بدعم العمل الإسلامي في تتارستان من خلال إنشاء المدارس والجمعيات والمراكز والمساجد وطباعة الكتب الإسلامية وإرسال الدعاة واستضافة الحجاج والمعتمرين البلغارين، والإسهام في إكمال الطلاب دراساتهم العليا في جامعات البلاد الإسلامية في التخصصات المتنوعة.

- كما يقترح تواصل الجهات المعنية بالتاريخ والحضارة في عالمنا الإسلامي

مع نظيراتها من المنظمات في بلاد الغرب للعمل على منع التشويه الحاصل على رحلة ابن فضلان من خلال الفيلم أو الرواية المشار إليهما، بل الذهاب إلى أبعد من ذلك بسن قوانين تحمي ثقافة المسلمين من أن يطولها التحريف والتشويه لسد هذه الثغرة التي يلج منها بعض المغرضين.

- يوصي الباحث الدعاة إلى الله المتميزين بالعلم والحكمة والحلم بالقيام برحلات الدعوة إلى بلاد غير المسلمين، من خلال سلوك القنوات النظامية التي تسهم في امتدادهم إلى ذلك العالم الواسع، نظراً لعمق أثر رحلات الدعوة، وتدوين تجاربهم، وتوثيق خبراتهم، وإتاحتها للمستفيدين.

وإنني في الختام أسأل الله ﷻ أن يكتب لهذا البحث القبول.

وصلى الله وسلَّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

فهرس المصادر والمراجع

١ ـ **أجنحة المكر الثلاثة**: د. عبد الرحمٰن الميداني، ط. الثامنة، عام ١٤٢٠هـ، الناشر: دار القلم، دمشق.

٢ ـ **أصول الدعوة**: د. عبد الكريم زيدان، ط. الثالثة، عام ١٤٠٩هـ الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت.

٣ ـ **الأعلام**: خير الدين الزركلي، ط. الحادية عشرة، عام ١٩٩٥م، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت.

٤ ـ **البداية والنهاية**: الحافظ ابن كثير، ط. عام ١٤٠٥هـ، الناشر: دار الكتب العلمية.

٥ ـ **بلاد التتار والبلغار**: للعبودي، ط. الأولى، عام ١٤٠٣هـ، الناشر: رابطة العالم الإسلامي، جدة.

٦ ـ **تاج العروس من جواهر القاموس**: الزبيدي، ط. الأولى، عام ١٤٠٣هـ، الناشر: مطبعة حكومة، الكويت.

٧ ـ **تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار**: الشيخ الرمزي، ط. الأولى، عام ١٣٢٥هـ، الناشر: مطبعة الكريمية الحسينية، أورينورغ.

٨ ـ **دائرة المعارف الإسلامية**: باتولد، مادة بلغار.

٩ ـ **الرحالة المسلمون في العصور الوسطى**: زكي محمد حسن، ط. الأولى، عام ١٤٢٠هـ، الناشر: رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة.

١٠ ـ **الرحلة والرحالة المسلمون**: د. أحمد رمضان، ط. الأولى، الناشر: دار البيان العربي، جدة.

١١ ـ **رسالة ابن فضلان**: تحقيق: د. سامي الدهان، ط. الثانية، عام ١٩٨٧م، الناشر: مكتبة الثقافة العربية، بيروت.

١٢ ـ **ركائز الإعلام في دعوة إبراهيم عليه السلام**: د. سيد محمد ساداتي، ط. الأولى، عام ١٤١٥هـ الناشر: دار عالم الكتب، الرياض.

١٣ ـ **زاد المعاد في هدي خير العباد**: للإمام ابن قيم الجوزية، ط. الرابعة عشر، عام ١٤٠٧هـ، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت.

١٤ ـ **سير أعلام النبلاء**: للإمام الذهبي، ط. السابعة، عام ١٤١٠هـ، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، تحقيق: شعيب الأرناؤوط.

١٥ ـ **صحيح الإمام مسلم**: للإمام مسلم بن الحجاج القشيري، ط. الأولى، عام ١٤١٩هـ، الناشر: دار السلام، الرياض.

١٦ ـ **صحيح البخاري**: للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، ط. الأولى، عام ١٤١٧هـ، الناشر: دار السلام، الرياض.

١٧ ـ **الإسلام والمسيحية في التاريخ الروسي المبكر**: د. عمر محمود شعار.

١٨ ـ **العالم الإسلامي في العصر العباسي**: حسن أحمد محمود، ط. الخامسة، الناشر: دار الفكر العربي، القاهرة.

١٩ ـ **العباسيون والبلغار وانتشار الإسلام في أوروبا الشرقية**: د. محمد الراجحي، ط. الأولى عام ١٤١٩هـ، الناشر: بدون.

٢٠ ـ **قاموس علم الاجتماع**: د. محمد عاطف غيث، ط. الأولى، عام ١٩٧٩م، الناشر: الهيئة المصرية للكتاب، مصر.

٢١ ـ **لسان العرب**: لابن منظور، ط. ب. ر، عام ١٤١٢هـ، الناشر: دار صادر، بيروت.

٢٢ ـ **مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمة**: جمع وترتيب: الشيخ عبد الرحمٰن بن قاسم وابنه، ط. الأولى، عام ١٤١٦هـ، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة.

٢٣ ـ **مجموع فتاوى ومقالات متنوعة**: الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، جمع وترتيب: د. محمد الشويعر، ط. الرابعة، عام ١٤٢٣هـ، الناشر: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض.

٢٤ ـ **المدخل إلى علم الدعوة**: محمد أبو الفتح البيانوني، الرابعة، عام ١٤١٨هـ، الناشر: إدارة الشؤون الإسلامية، قطر.

٢٥ ـ **مروج الذهب ومعادن الجوهر**: المسعودي، ط. عام ١٩٨٧م، المكتبة العصرية، الناشر صيدا، بيروت.

٢٦ ـ **معجم البلدان**: ياقوت الحموي، ط. الأولى عام ١٤١٩هـ، الناشر: بدون.

٢٧ ـ **معجم مقاييس اللغة**: ابن فارس، ط. ب. ر، عام ب. ت، الناشر: دار الجيل.

٢٨ ـ **من أقوال سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز**: إعداد: زياد السعدون، ط. الأولى، عام ١٤١٣هـ، الناشر: دار الوطن، الرياض.

الصحف والمجلات:

١ ـ **جريدة الاتحاد الوطني الكردستاني**: عدد ١٥٦٠، السنة الخامسة عشرة، بعنوان: الصين في مخطوطة طبائع الحيوان، المروزي، د. مؤيد عبد الستار.

٢ ـ **جريدة الرياض اليومية**: الأربعاء ٢٨ ذي الحجة ١٤٢٧هـ، عدد ١٤٠٨٦.

٣ ـ **جريدة الزمان**: العدد ١٣٩٧، تاريخ ٢٠٠٣م بحث بعنوان ابن فضلان.. مقدمة عن رحلته وملاحظات عن دارسيه، طمس الحدود بين المتخيل والواقعي، شاكر لعيبي.

٤ ـ **مجلة الرسالة الإسلامية**: العراق عدد ٧٨، ٧٩ رمضان، عام ١٣٩٤هـ، مقال بعنوان: رحلة ابن فضلان إلى بلاد الكفار، فاخر عبد الرزاق المناع.

٥ ـ **مجلة الفيصل**: عدد ٣٣٩ رمضان، ١٤٢٥هـ، مقال بعنوان: رحلة ابن فضلان بين الواقع والخيال، لطف الله قاري.

٦ ـ **مجلة المؤرخ العربي**: عدد ٢١، عام ١٤٠٢هـ، بحث بعنوان: دولة البلغار المسلمين في حوض الفولغا، حسين الداقوقي.

٧ ـ **مجلة المؤرخ العربي**: العدد الخامس، عام ١٣٧٩هـ.

٨ ـ **مجلة جامعة الإمام**: عدد ٩ محرم، عام ١٤١٤هـ، بحث بعنوان: رسالة ابن فضلان إسهام رائد ومبكر في العلوم الاجتماعية، د. عبد الله حسن العبادي.

٩ ـ **مجلة شمس الإسلام لندن**: عدد ذي القعدة، عام ١٤١٣هـ، مقال بعنوان: رحلة ابن فضلان، د. أحمد شوقي.

١٠ ـ **مجلة كلية المعلمين**: بجدة العدد الخامس بحث بعنوان: ابن رُشيد الفهري السّبتي ورحلته ملء العيبة، د. علي إبراهيم كردي.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	
المبحث الأول: الرحلة: عصرها ودوافعها وخط سيرها	
المطلب الأول: عصر الرحلة وزمنها ومدتها	
الفرع الأول: عصر الرحلة	
الفرع الثاني: زمن الرحلة ومدتها	
المطلب الثاني: دوافع الرحلة	
المطلب الثالث: بلاد البلغار وخط السير إليها	
الفرع الأول: بلاد البلغار	
الفرع الثاني: خط سير الرحلة	
المبحث الثاني: جوانب الدعوة في الرحلة	
المطلب الأول: جوانب الدعوة المتعلقة بالداعية (أحمد بن فضلان)	
الفرع الأول: التعريف بالداعية	
الفرع الثاني: صفات الداعية من خلال الرحلة	
المطلب الثاني: جوانب الدعوة المتعلقة بالمدعوين	
الفرع الأول: أصناف المدعوين	
الفرع الثاني: رصد عادات المدعوين وصفاتهم وأحوالهم من خلال الرحلة	
المطلب الثالث: جوانب الدعوة المتعلقة بموضوعات الدعوة في الرحلة	
الفرع الأول: موضوعات العقيدة	
الفرع الثاني: موضوعات الشريعة	
الفرع الثالث: موضوعات الأخلاق والسلوك	
المطلب الرابع: جوانب الدعوة المتعلقة بوسائل الدعوة وأساليبها	
الفرع الأول: وسائل الدعوة في الرحلة	

الموضوع | الصفحة

الفرع الثاني: أساليب الدعوة في الرحلة .....
المبحث الثالث: الآثار الدعوية للرحلة وعوامل نجاحها وانعكاساتها في العصر الحاضر .....
المطلب الأول: الآثار الدعوية للرحلة .....
الفرع الأول: الآثار المتعلقة بالدعوة .....
الفرع الثاني: الآثار المتعلقة بالمدعوين .....
الفرع الثالث: الآثار المتعلقة بالدولة المسلمة .....
المطلب الثاني: عوامل نجاح رحلة ابن فضلان الدعوية .....
الفرع الأول: تميز الداعية .....
الفرع الثاني: مساندة الدولة لرحلة الدعوة .....
المطلب الثالث: انعكاسات رحلة ابن فضلان رَحِمَهُ اللَّهُ في العصر الحاضر .....
الفرع الأول: انعكاساتها في العصر الحاضر في المجال الثقافي .....
الفرع الثاني: انعكاساتها في العصر الحاضر في المجال الدعوي .....
الخاتمة .....
فهرس المصادر والمراجع .....
المحتويات .....

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

دار التوحيد للنشر

تليفون : ٢٦٧٨٨٧٨ ١ ٩٦٦+ فاكس : ٤٢٨٠٤٠٤ ١ ٩٦٦+
darattawheed@yahoo.com

ردمك : ٠ - ٩٤٠٨ - ٠٠ - ٦٠٣ - ٩٧٨

مطبعة سفير تليفون ٤٩٨٠٧٨٠ - ٤٩٨٠٧٧٦ الرياض